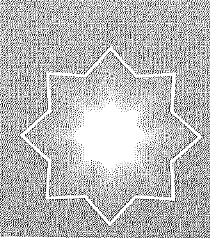
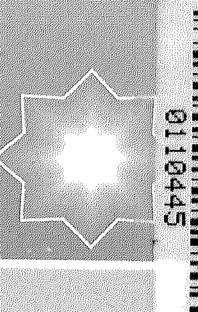
تأليف عمر بن عبد العزيز

الفكر السياسي للإمام جعفر الصادق (ع)





دار الرسول الأكرم (ص)

دار المحجة البيضاء



الفكر السياسي
للإمام جعفر الصادق (ع)



تأليف عمر بن عبد العزيز

الفكر السياسي للإمام جعفر الصادق (ع)

دار الرسول الأكرم (ص)

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م



دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله، له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام العبيد﴾[1].

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾[2].

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط، شهداء ولو على أنفسكم﴾[3].

﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾[4].

﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن[5].

صدق الله العظيم

---

(١) القرآن الكريم. سورة الحج الآية ٨ ـ ٩.
(٢) القرآن الكريم. سورة المائدة الآية ٨.
(٣) القرآن الكريم. سورة النساء الآية ١٣٥.
(٤) القرآن الكريم. سورة الأنعام الآية ١٥٣.
(٥) القرآن الكريم. سورة الإسراء الآية ٥٣.



الإهداء

* الى كل العاملين في خط الدعوة الإسلامية
باتجاه إعادة تشكيل الوعي الإسلامي.
* الى كل شهداء الإسلام والمقاومة
وعلى رأسهم السيد عباس الموسوي
والدكتور فتحي الشقاقي والمهندس يحيى عياش
وإننا على دربهم سائرون بإذن الله.

مقدمة الباحث

هذا البحث هو ثمرة رحلة علمية استغرقت عقداً من الزمن انتقل خلالها الباحث من مذهب إسلامي ـ السنة والجماعة ـ الى مذهب آخر ـ آل البيت(ع).

فرغم أنه تربى في صفوف الحركة الإسلامية في بلده، فقد ظلت حقائق إسلامية مجهولة لديه قبل أن يكتشفها بنفسه وهو يُرجع تزييف الوعي الذي عاشه الى عنصرين:

أولاً: عقلنة التعليم والتربية والثقافة في بلدان شمال افريقيا عامة وتونس خاصة التي تعرضت إلى عملية تحديث غربية شاملة.

ثانياً: نمط تربية وتعليم وثقافة إسلامية مشوهة وقاصرة تحركت فيها الأجواء الإسلامية العامة في تونس حيث كان روّاد الحركة الإسلامية هناك يحملون وما زالوا أفكاراً خاطئة عن مذهب آل البيت(ع) مما جعلهم لسبب أو لآخر يغيبون الكثير من الحقائق عن شباب الحركة ومنتظميها حتى إذا كبر الأخيرون وكبر الوعي معهم اكتشفوا البنية التأسيسية المذهبية المغلقة والهشة التي تربوا عليها فانبروا يراجعون الكثير من المعتقدات والمسلمات التي شبوا عليها من منطلق «إن الله يهدي للتي هي أقوم» و«الحق أحق أن يتبع» و«اعرف الحق تعرف أهله» ومن منطلق أن التقليد في العقائد لا يجوز.

هذه القراءة تعكس القلق المعرفي والفكري والعقائدي الذي يعيشه أبناء شمال افريقيا التي بات ينظر إليها عالمياً أنها تاريخياً وطوبوغرافياً تابعة لجنوب أوروبا لا العالم العربي الإسلامي. وهي بالتالي موجهة من هناك وإلى هناك، على أمل أن تشكل إحدى الخطوات على طريق إعادة الاعتبار للذات وللهوية الإسلامية في المغرب العربي الإسلامي حيث بات مثقفوها عامة والإسلاميون

منهم خاصة غير معنيين كثيراً بقضايا الشرق الإسلامي بدعوى الخصوصية التاريخية والخصوصية الجغرافية في الوقت الذي أصبح فيه الإنسان يتحرك عالمياً بل وكونياً.

هذه المحاولة هي الأولى من نوعها أكاديمياً «حسب اطلاع الكاتب»، فقد تطرق الكثيرون الى الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) ومع الإيمان بأنه ما من كتابة لا تخلو من ثغرة أو عثرة أو هفوة فإن الأمل يبقى في أن تغطي هذه القراءة بعض النقص او القصور الحاصل هنا أو هناك. لقد حاول الباحث تجاوز ما كتب حتى الآن حول الصادق(ع) استعراضاً ونقداً وتحليلاً وهي مهمة لم تكن سهلة ابداً ومع ما فيها من مجازفة، فحسب المرء أنه أثار مع الصادق أكثر من سؤال وأكثر من قضية حول أهم فترة تاريخية أسست لما بعدها فكرياً وسياسياً وعقائدياً حتى يومنا هذا... والله أعلم.

مدخل الى العصر الجعفري

العصر الجعفري هو عصر الفتن والحروب والحركات السياسية المتضاربة والمذاهب العقائدية المختلفة والنظريات المنحرفة الوضاعون والغلاة والملحدون والزنادقة والشاكون في الدين والمشككون فيه، وهو عصر يعيد نفسه دائماً ويتجدد في كل مرة مع تاريخ البشرية الطويل في مسيرتها المضنية. إنه عصر الانفتاح على الأهواء والملل والنحل والثقافات والحضارات الأخرى، وهو عصر الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية التي لا يخلو منها مجتمع وجد على الأرض ومشى في مناكبها وعمرها قليلاً أو كثيراً.

إنه عصره كإمام يؤم، يتقدم الى الواجهة ليرشد ويدل ويهدي، كرمز وكدلالة وكمعنى وكامتداد لخط النبوة والوحي والرسالة الإسلامية الخالدة. ولما كان الأنبياء والرسل والأئمة مبعوثون للناس كلهم وللزمن كله فهذا يستتبع بالضرورة أن تكون دعوتهم ورسالاتهم وأعمالهم أزلية أبدية وهذا سر عظمتها وخلودها وتجددها ومعاصرتها لكل حال وآن لأن الخط العام أو الفكرة العامة للدعوة الربانية واحدة في جوهرها منذ أن خلق الله الإنسان وإلى يوم القيامة. لذلك يكاد يصر الباحث أن العصر الجعفري هو عصرنا بشكل أو بآخر يقبع فينا ونقبع فيه.

بين الصادق والباقر والسجاد[1]:

تربى الإمام جعفر بن محمد الصادق في كنف جده زين العابدين ـ السجاد ـ ما بين ١١ و١٤ سنة وفي كنف والده محمد الباقر نحو ٣٠ سنة درس خلالها عليه، لذلك يرى السيد حسن الأمين أن حياة الصادق العلمية والفكرية هي امتداد لحياة أبيه وجده مؤكداً أن زين العابدين علي بن الحسين هو أبو الحضارة الإسلامية التي أرسى بذرتها الأولى في مدرسته بالمدينة وأخرجت الكثير من رجال العلم قبل أن يتولاها ولده محمد الباقر[2] ويطورها فيما بعد حفيده الإمام الصادق(ع).

يرى الدكتور حسن جابر المسألة من منظار ترابطي أيضاً ويجزم بأن حركة الصادق هي الامتداد الطبيعي لحركة أبيه وجده[3]. فقد اتجه علي بن

---

(١) هم ثلاثة أئمة من آل البيت(ع) الاثنا عشر المنصوص عليهم شرعاً وهم حسب المذهب الإمامي:
الإمام علي بن أبي طالب (٦٠٠ ـ ٦٦٢م)
الإمام الحسن بن علي (٣ ـ ٥٠هـ).
الإمام الحسين بن علي (٤ ـ ٦١هـ).
الإمام علي بن الحسين ـ زين العابدين السجاد (٣٨ ـ ٩٥هـ).
الإمام محمد بن علي ـ الباقر (٥٧ ـ ١١٤هـ).
الإمام جعفر بن محمد ـ الصادق (٨٠ ـ ١٤٨هـ).
الإمام علي بن موسى ـ الرضا (١٤٨ ـ ٢٠٢هـ).
الإمام محمد بن علي ـ الجواد (١٩٥ ـ ٢٢٥هـ).
الإمام علي بن محمد ـ الهادي (٢١٢ ـ ٢٥٤هـ)..
الإمام الحسن بن علي ـ العسكري (٢٢٢ ـ ٢٦٠هـ).
الإمام محمد بن الحسن ـ المهدي المنتظر (٢٥٥ ـ غيبة ٣٢٩هـ).

(٢) الأمين، حسن: الجانب العلمي والفكري من شخصية الإمام الصادق مؤتمر الإمام الصادق الدولي دمشق ١٧ ـ ١٩ ربيع الأول ١٤١٢/ ٢٦ ـ ٢٨ أيلول ١٩٩١ دمشق. كتاب صادر عن المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الايرانية بدمشق ص: ١٧٨.

(٣) جابر، حسن: المدلول السياسي لحركة الإمام الصادق(ع) مؤتمر الإمام الصادق، مرجع سابق ص: ٣٦٥. يشار الى أن المنهج الترابطي في استعراض حركة =

الحسين(ع) بعد فاجعة كربلاء والثارات ولعبة قطع الرؤوس التي أعقبتها الى القيام بشؤون الإمامة الروحية كالعبادة ونشر الأحكام والأخلاق وتفقد الفقراء والمساكين وإحياء المجالس الحسينية للحفاظ على معين الثورة الحسينية المقدسة: فكوّن مدرسة فقه وحديث ضمت ٣٦٠ من التابعين والموالين. وقد ساهم الباقر في تطوير مدرسة أبيه لتصبح جامعة أهل البيت في الفقه والحديث. ومما يؤسف له حقاً أن حياة هذين الإمامين لم تحظ بالاهتمام والدراسة لأسباب لعل أبرزها ما أشار اليه الشهيد مرتضى مطهري «بأن هناك أربعة فقط من أئمتنا اصطدموا بشكل من الأشكال بمسألة الخلافة كقضية سياسية في زمانهم وهم: أمير المؤمنين علي(ع) والأمام الحسن(ع) والإمام الحسين(ع) والإمام الصادق(ع)» أما بقية الأئمة فلم تكن هذه المسألة مطروحة، وهذا ما جعل الاهتمام يتركز على بعضهم دون الآخر، ويحتل الصادق في هذا المجال الصدارة إن على مستوى تاريخية تشكل الفقه السياسي في الإسلام أو تاريخية تشكل العقل الإسلامي فقهاً وعقيدة وأصولاً.

= الأئمة(ع) داخل الخط العام هو منهج تاريخي يأخذ به كل علماء ومفكري المذهب الجعفري المحدثين ولعل أول من تطرق الى هذا المنهج هو الشهيد محمد باقر الصدر. راجع دائرة المعارف الإسلامية للسيد الأمين ج٢ ص: ٩٤. مقال للشهيد الصدر تحت عنوان: دور الأئمة في الحياة الإسلامية.



في التأسيس للاجتماع المدني



في العلاقة بين الدين والدولة

مدخل الى الفكر الجعفري:

تاريخياً ولد فكر الدولة العربية قيصرياً على شلالات دماء[1]، وجاء يحمل معه شهوة الملك والاستبداد، فخنق بذلك روح المبادرة الفردية، والحرية الشخصية في الاختيار وزرع الرعب والخوف في روح الفرد والمجتمع والأمة.

في لحظة الاستبداد المطلق هذه والتي تلبست بالجسد والروح تقدم الصادق لا ليغذي الصراع الدموي، ولا ليسعر أوار الفتنة بين الدولة والمجتمع، بل لنقل الصراع من المواجهة المسلحة الى المواجهة السلمية وسيكون بذلك أول من قال بما سيعرف هذه الأيام بالفصل بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي والدولة[2]. ومع التحفظ بشأن استعمال المصطلحات العلمية المذكورة فإن الكاتب يكاد يجزم بأن أحداث صدر الإسلام الأول كانت تحكي في جوهرها العلاقات المتداخلة بين العناصر الثلاثة وقد حاول علماء الإسلام آنذاك وأئمة المسلمين إيجاد حل عملي وواقعي لها لولا دوامة العنف السياسي والعسكري التي عصفت بالجميع.

حتى مجيء الصادق كانت الدولة تحاول إيجاد المجتمع المتماهي معها:

---

(١) راجع الفتن والحروب: الجمل، صفين، كربلاء الخ...

(٢) الحقيقة أن هذه التفرقة نسبية في الغرب، فالمجتمع المدني الغربي مستقل نسبياً عن الدولة في الداخل ولكنه متماه معها كلياً خاصة تجاه القضايا الخارجية، ودليله أن المجتمع المذكور سلبي في حركته تجاه قضايا الشعوب المستضعفة والمستعمرة سياسياً واقتصادياًو عسكرياً.

كانت تحاول خلقه وصنعه على الشاكلة التي تريدها. وقد فتحت لذلك أكثر من جرح في جسمه وشوهت صورته وما تزال كذلك مع الدولة القومية المعاصرة. أما معه فسيصبح للمجتمع الإسلامي كيانه الخاص. وسيتماهى لا مع الدولة، بل مع دينه ومع هويته الإسلامية وشخصيته الرسالية. وسيجد في خط الإمامة كامتداد طبيعي لخط النبوة والشهادة[١] خير تجسيد عملي في **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**[٢]، أو في **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[٣]. هذه الازدواجية في الانتماء انطلقت مباشرة بعد الخلافة الراشدة حيث أصبح للإسلام وجودين واضحين: وجود رسمي على مستوى الدولة ووجود شعبي خارج إطار الدولة... لعل معالم هذا الانفصال ترجع في جذورها الى الخليفة الثالث عثمان بن عفان وسياسته اللاشرعية التي أثارت المجتمع الإسلامي ومهدت لما سيعرف لاحقاً بالفتنة الكبرى بين علي(ع) ومعاوية، ومن ثم لفتن لحقتها. لعل معالم هذا الانفصال ترجع الى السقيفة ايضاً[٤] وأحداثها، والشرخ الذي أحدثه بعض المجتمعين هناك والذي سيسلم به الإمام علي(ع) ما سلمت أمور المسلمين[٥].

إن السلم الأهلي والأمن العام في الدولة الإسلامية هو قبل وبعد وأثناء أي عمل سياسي آخر، يسبقه أو يصحبه، أو يتبعه. غالباً ما يقفز الذهن العربي والإسلامي الى الحروب والفتن والفوضى والمقاتل والمجازر في كل مرة تعرض له مصطلحات من قبيل السلم الأهلي والأمن العام؛ إنها ظاهرة تاريخية، ونفس تاريخية واجتماعية ونفس اجتماعية، وهي كذلك ظاهرة ثقافية

---

(١) الصدر، محمد باقر: خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء.
(٢) القرآن الكريم. سورة البقرة الآية ١٤٣.
(٣) القرآن الكريم. سورة آل عمران الآية ١١٠.
(٤) راجع معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري وراجع ايضاً: الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق.
(٥) قول للإمام علي بن أبي طالب(ع).

وانتروبولوجية للولادة القيصرية للدولة في الإسلام التي أحدثت شرخاً هائلاً للفكر والجسد الإسلاميين.

إن السلم والأمن الأهليين هما سلم وأمن على الصعد التالية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية[١]. وقد جاهد علي(ع) بكل بسالة، وبدون هوادة كل من هدد هذا السلم وهذا الأمن الأهليين على صعيد الفكر[٢] وعلى صعيد الممارسة. وكذلك سار الأئمة من بعده بمن فيهم الإمام الصادق الذي يعتبر علامة فارقة تاريخياً على صعيد الخط المذكور، لا إسلامياً فحسب، بل وعالمياً حيث يعتبر في اللغة الفكرية والسياسية المعاصرة رائد الفصل بين الدولة والمجتمع المدني والمجتمع السياسي.

إن الانقلاب الذي أحدثه الصادق على مستوى المواجهة السياسية، لا يوازيه إلا إنقلاب حد السيف الناضح بالدم الى حد القلم الناضح بالفكر!

كيف استطاع أن يرتقي بالفتن والحروب والاقتتال الداخلي ليحوله الى سجال فكري وسياسي، سوف لن يستمر كثيراً بعده وكيف ساهمت الدولة كجهاز تزامن القمع والاستبداد معها منذ ولادتها وحتى يومنا هذا على القضاء على ذلك العقل السياسي في الإسلام والحيلولة دونه ودون استكمال مشروعه الرسالي؟ وما هي الإضافات الفكرية والسياسية التي قدمها الصادق للتاريخ وللحضارة وللإنسان قديماً وحديثاً؟ وغيرها من الأسئلة التي ما زالت تبحث عن إجابات ملحة خاصة بعد أن عاد منذ أكثر من عقد ونصف الى قلب الصراع المحلي والاقليمي والدولي[٣].

---

(١) ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾... ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾... ﴿ضرب الله مثلاً قرية كانت مطمئنة﴾. وغيرها من الآيات القرآنية التي تؤكد على الأمن الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي والأخلاقي ومن ثم الأمن الفكري والروحي للفرد وللمجتمع وللأمة.

(٢) حربه(ع) ضد الخوارج.

(٣) إشارة الى الدولة الإسلامية في إيران التي تعتنق المذهب الجعفري.

توظيف الدين كرأس مال رمزي للإصلاح:

سيتحرك الصادق لتأسيس مجتمع مدني على أساس ديني خارج إطار الدولة وداخلها في نفس الوقت. وسيبعث من أجل ذلك مدرسة جامعة تساعده في نشر الوعي الثقافي بين مختلف أفراده من مختلف الأمصار والأعمار. وسيتعلمون فيها الأخلاق والأدب والتربية والحقوق الخاصة والعامة والحقوق المشتركة، ومن ثم حقوق الإنسانية العامة التي أرسى معالمها الفكرية جده زين العابدين بن علي عليهما السلام.

سيعمل جهده على نبذ الخلافات الأهلية وعلى إحياء معالم الأخوة والمحبة والتواصل والتراحم والتحابب وسيدفع الأموال لرأب الصدع بين الناس[١]، وسينهى عن رفع الخصومة الى حكام الجور. كان بذلك يقدم صورة حية لكيفية حل الخلافات والمشاكل الداخلية بطريقة سلمية وقد راهن من أجل ذلك على الضمير الحي لوجدان الفرد والمجتمع، وعلى الوجدان الديني، الى درجة أنه جعل الخصومة شكلاً من أشكال الكفر في «لا يفترق رجلان على الهجران، إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة وربما استوجب ذلك كلاهما»[٢].

كما حذر من مخاطرها على الأجواء النفسية والاجتماعية العامة منبهاً «إياكم والخصومة فإنها تشغل القلب وتورث النفاق، ومن زرع العداوة حصد ما بذر، ومن لم يملك غضبه لم يملك عقله»[٣]. إنها قمة الدعوة الى العقلانية في حل المشاكل والخلافات الداخلية للمجتمع.

إن قمة الدبلوماسية الإسلامية في التعاطي مع النبأ أو الخبر او الحدث يحكيها الصادق كالتالي: «إذا بلغك عن أخيك شيء يسؤك فلا تغتم فإن كان

---

(١) عن المفضل عن الإمام الصادق(ع): إذا تنازع رجلان من أصحابنا أن أصلح بينهما وافتديهما من ماله.

(٢) حديث للإمام الصادق(ع).

(٣) حديث للإمام الصادق(ع).

كما يقول كانت عقوبة عجلت وإن كان غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها»[١].

على الباحث أن ينتقل بجسمه وعقله وروحه إلى تلك المرحلة المثخنة مادياً ومعنوياً بجراحات ما زالت تنزف وبفتن وحروب أهلية، لا يكاد المجتمع الإسلامي يخرج منها حتى يكون على موعد من أخرى، في استراحات قتال منقطعة.

كيف السبيل الى وحدة الصف؟ إلى رأب الصدع؟ الى الوحدة؟ الى الألفة؟ الى الأخوة؟ الى الانصهار القومي بالتعبير المعاصر؟ والى العض على جراحات أكثر من نصف قرن من المقاتل والمجازر والدماء والدموع وهتك الأعراض والمحارم وبيوت الله!؟...[٢]

في صدقة المعنى:

كيف السبيل الى نسيان صفين والنهروان وكربلاء وثورة التوابين، ولعبة وفن وسياسة قطع الرؤوس وغيرها من الوقائع الوقيعة التي ما زالت حية ومتنقلة عبر أثير الأحقاد والضغائن والدسائس من جيل الى آخر.

إنه لمن دواعي التخلف، ألا تتجاوز قراءتنا لتعاليم الصادق الأخلاقية، الى المغزى السياسي والاقتصادي والثقافي لأنه لا فصل في الإسلام بين الأخلاق وهذه المواضيع.

سوف تكون النظرة قاصرة ومقصرة إذا نظرنا الى مقولة الصادق: «صدقة يحبها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[٣]، ولم نحطها بالمناخ النفسي والنفس الاجتماعي لتلك الفترة التي ورثت ركاماً هائلاً

---

(١) حديث للإمام الصادق(ع).

(٢) إشارة الى رمي يزيد بن معاوية الكعبة بالمنجنيق واستباحة حرمتها وحرمة أهلها والى المجازر الرهيبة التي تعرض لها أتباع الإمام علي(ع)، راجع مقاتل الطالبيين وأمهات كتب التاريخ والسيرة حول الموضوع المشار اليه.

(٣) حديث للإمام الصادق(ع).

من الجراحات النفسية والاجتماعية شوهت الدين والأخلاق والسياسة في الإسلام.

هنا يخلص الباحث مع الصادق الى قيمة سياسية وأخلاقية، بل وتاريخية وحضارية ألا وهي صدقة المعنى.

عاش الصادق ومن قبله وبعده من الأئمة يتصدقون معنوياً بالقول الحسن والكلمة الطيبة من أجل الإصلاح بين الناس والخير لهم جميعاً. وهكذا، وبهكذا فقط يمكن قراءة الآلاف من الأحاديث التي وردت عنهم. لقد شكلوا أكبر حركة اقتصادية[١] للمعنى وذلك من خلال السيل الغزير من الأحاديث والأدعية والصلوات في الليل والنهار والسر والعلن والخوف والرجاء واليسر والعسر وفي كل لحظة وحين وآن...

كان المعنى أكبر رأس مال يمكن توظيفه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وثقافياً لمحاربة الواقع السلبي في محاولة للنهوض به.

ويتواصل الاقتصاد المعنوي بزخم شديد. «أوصيكم بتقوى الله واجتناب معاصيه، وأداء الأمانة لمن ائتمنكم وحسن الصحابة لمن صحبتموه وأن تكونوا لنا دعاة صامتين[٢]. قيل له يا ابن رسول الله وكيف ندعو ونحن صامتون؟ فقال: تعملون بما أمرناكم به من العمل بطاعة الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الأمانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس عليكم إلا على خير فإذا رأوا ما أنتم عليه فضلوا ما عندنا فتنازعوا إليه[٣].

---

(١) الاقتصاد كحركة إنتاج ومبادلات لا كحركة تقشف او الاقتصاد كحركة توليد لا منقطعة لمعنى الفضيلة ولفضيلة المعنى الإسلامي المقدس. ويشار هنا الى دور الأديان والرسالات السماوية في التأسيس تدريجياً لوحدة الإنسان أو البشرية أما النزعات الإنسانية العالمية المعاصرة فقد جاءت متأخرة جداً عن التي دعى اليها الأنبياء والرسل من آدم(ع) الى محمد(ص). ضمن هذا الإطار يمكن قراءة حركة الصادق(ع) او الأئمة(ع) كامتداد لخط رسالي عام.

(٢) حديث للإمام الصادق(ع).

(٣) حديث للإمام الصادق(ع).

هنا يصادق الصادق القرآن في ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾[1]. وفي ﴿ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[2]. وفي ﴿من عفى له من أخيه شيء فاتباع بمعروف وأداء اليه بإحسان﴾[3]. وفي ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾[4]، وفي غيرها من المعاني السامية التي تحكم علاقة الإنسان بالله وعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالطبيعة[5].

كيف انتقلت الصدقة في الإسلام من مفهوم إيجابي كبذل معنوي لا منقطع ولا محدود إلى مفهوم سلبي (بذل مادي بحت) ولم يقع الانتباه الى مصارف الصدقة المعنوية والاعتبارية، وهل من فقهاء جدد في صدقة المعنى، معنى الصدقة في السياسة والاقتصاد والاجتماع..؟!

إن أحد معالم عصرنا الراهن هو تفريغ العمل والجهد الإنساني من كل معنى أو قيمة والعمل على تشويهه أخلاقياً وتربوياً وروحياً. وهذا التشويه تحكيه يومياً السياسة والاقتصاد والثقافة المعاصرة التي تمارسها الأنظمة هنا وهناك. وتحكيه يومياً الدولة القومية في بلداننا. ولا سبيل الى مقاومة هذا التشويه إلا بإرساء معالم ثقافة مدنية شعبية مستقلة عن ثقافة الدولة الرسمية التي لم تنتج إلا القمع والإرهاب الجسدي والمعنوي والهزيمة.

إن أبشع ما تفتقت عليه ذهنية الإنسان المعاصر هو التقنين للقمع، والتنظيم للإرهاب والتخطيط للمسخ، أو غسل أدمغة الأفراد والشعوب، ومن ثم السيطرة عليها. وقد قاوم الصادق كل أشكال الاستيلاب المذكورة من خلال تجديد معالم السنة[6] النبوية والقرآن الكريم في التفكير والأدب والسلوك

(١) القرآن الكريم. سورة البقرة الآية ٢٦٣.
(٢) القرآن الكريم. سورة فصلت الآية ٣٤.
(٣) القرآن الكريم. سورة البقرة الآية ١٧٨.
(٤) القرآن الكريم. سورة القصص الآية ٧٧.
(٥) إشارة الى فلسفة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر الثلاثية الأبعاد.
(٦) العسكري، مرتضى: ورقة قدمت الى مؤتمر الإمام الصادق الدولي ـ مرجع سابق =

الخاص والعام.

لقد عاش في زمن تلبس فيه الشيطان بالعلاقات الفردية والاجتماعية والسياسية «إن للشيطان مصائد يصطاد بها، فتحاموا شباكه ومصائده، قيل وما هي؟ قال: صد عن بر الأخوان[1] ومن خالص الإيمان البر بالأخوان[2].

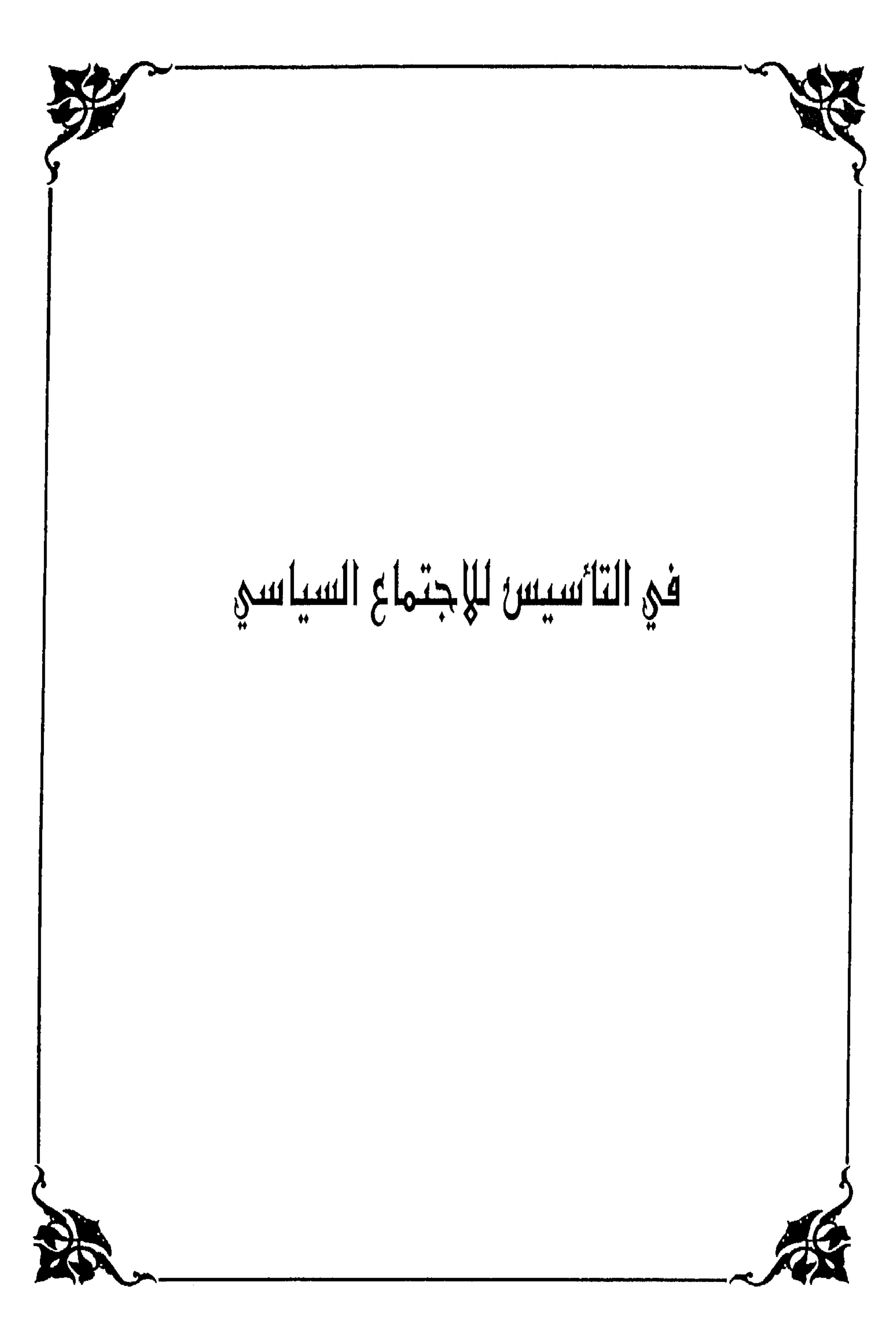
إن الحديث المذكور ينبيء عن حقيقة تاريخية واجتماعية تحكم وتتحكم في العلاقات البشرية ألا وهي الشيطنة التي أصبحت علماً وفناً محلياً واقليمياً ودولياً. **﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، قال إن عبادي ليس لك عليهم من سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾**[3] **﴿فقاتلوا أولياء الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾**[4].

مرة أخرى وككل مرة يصادق الصادق القرآن في **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**[5]، وفي **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**[6] وفي **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**[7] و**﴿الفتنة أكبر من القتل﴾**[8]... وهكذا كرّس حياته لرأب الصدع ولمّ الجرح وإيقاف النزف وذلك من خلال التركيز على الوازع الأخلاقي، والديني للفرد والمجتمع الذي ما زال قريب عهد بالوحي، بالنص الديني، بالفتوحات، بالنبي والأئمة وبالصحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم.

= ـ حيث يرى أن الإمام الصادق(ع) لم يخرج عن الاطار الإسلامي العام لحركة الأئمة من قبله والجديد الذي جاء به هو إحياءه معالم السنة النبوية، راجع ص ٣٩٣.

(١) الوسائل: باب البر بالأخوان، حديث للإمام الصادق(ع).
(٢) الوسائل: مرجع سابق، حديث للإمام الصادق(ع).
(٣) القرآن الكريم. سورة الأعراف الآية ١٦.
(٤) القرآن الكريم. سورة النساء الآية ٧٦.
(٥) القرآن الكريم. سورة التوبة الآية ٧١.
(٦) القرآن الكريم. سورة الأنفال الآية ٤٦.
(٧) القرآن الكريم. سورة آل عمران الآية ١٠٣.
(٨) القرآن الكريم. سورة البقرة الآية ٢١٧.

هل نجح الصادق في إرساء معالم أو دعائم المجتمع الأهلي السلمي الذي كان يصبو إليه خارج إطار الدولة وداخلها؟ هل أن برنامجه مشروع شخص أو مجموعة أو أمة؟ وهل أنه عملية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتاريخية وحضارية أم ماذا؟ أم هو مشروع إمام تحرك في خط ليتممه وأصابه ما أصاب مشروع كل الأئمة من قبله وبعده من نجاح وفشل نسبي واعترض طريقه ما اعترض طريق الأنبياء والرسل في التاريخ كله؟! . . .



في التأسيس للاجتماع السياسي



الصادق والنزعات الإنسانية للفرق الإسلامية:

إن التاريخ يحتم علينا أن نرفع القناع عن أعظم شخصية علمية، أوجدت مدارس في الإسلام كان لها تأثير قوي في التيارات الفكرية الإسلامية[1].

إن الصادق هو بلا منازع واضع أسس النزعة الإنسانية لتلك الفرق الكلامية والمدارس الفلسفية التي تفتق عنها عقله. وإنها لمغالطة تاريخية كبرى؛ إرجاع النزعات الإنسانية المعاصرة الى فلسفة الأنوار الأوروبية التي تأخرت أكثر من عشرة قرون لتكتشف حقوق إنسانها ومواطنها وحريته، في حين سبق الإسلام ورواده الى حقوق الإنسان كل إنسان وحريته، أيا كان جنسه، أو عرقه، أو لونه.

إن الباحث لا يدعي تمركزاً ذاتياً معكوساً مقابل التمركز الذاتي الأوروبي، لإثبات حقيقة الأشياء ولكنه مع حركة التاريخ التي لا يمكن ابداً تزويرها لأنها جزء من سنة الله في خلقه **﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾**.

كان الصادق ذا علم غزير في أصول الدين، وأدب كامل في الحكمة ـ الفلسفة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات[2]. وهو بذلك صاحب أول نداء انبعث من الأعماق لإيقاظ رسالة الإنسان الكاملة في معانيها الدقيقة وأهدافها السامية. لعب دوراً رئيسياً في بعث ما سيعرف بالفرق الإسلامية التي لم تكن في الحقيقة سوى مدارس فكرية، فلسفية تزخر بالحيوية المتفاعلة والمبدعة والخلاقة، أطلقت للعقل الإسلامي العنان لعقل نفسه وعقل العالم من حوله.

---

(١) غالب، مصطفى: الحركة الباطنية في الإسلام ـ دار الأندلس، بيروت ط٢، ١٩٨٢، ص: ٢٠٥.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل.

لقد أصبحت هذه الحركات الثورية، عقلاً وقولاً وعملاً، عابرة للقارات والأجناس والأعراق، فيما استطاعت أن تخترق الزمان والمكان معاً وأن تؤسس لها مراكز في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية المفتوحة آنذاك.

ما هي علاقة الصادق بتلك الحركات[1]؟ وكيف استطاع أن يشكل مركز استقطاب محلي واقليمي وعالمي قديماً وحديثاً؟ ما هي حدود تأثيره في حركة التاريخ الكلاسيكي والمعاصر؟ وغيرها من الأسئلة التي يفترض أن تطرح بكل دقة وصرامة وأمانة علمية لموقعة التراث والتاريخ فينا من جديد في محاولة لاستعادة وعينا التاريخي الذي لا يخفى شلله.

إن شخصية الإمام الصادق لا تزال غامضة تحتاج إلى من يكشف كنهها، لا لأهميتها في تاريخ الفكر الإسلامي فحسب بل وفي تاريخ تطور الفكر البشري عامة، كما ستبقى الكثير من الحقائق في طي الكتمان وسنظل نجهل الكثير من تراثنا الفكري، ذلك أن التعصب الذميم هو الذي طمس المعالم، ووضع أمامنا سداً هائلاً دون تفهم كثير من الحقائق التاريخية والعقائدية. إنه لمن المؤسف حقاً أن يشهد بعض المستشرقين لعهد الصادق بأنه يشبه عصر ليبنيتز في الحضارة الأوروبية[2]، في الوقت الذي يطمس شق لا بأس به من المسلمين والإسلاميين على حد سواء الأهمية العلمية لذلك الإمام.

الصادق والتعددية السياسية والفكرية والثقافية:

لم يلغ الصادق أحداً من الواقع السياسي او الاجتماعي او الثقافي، وحاول إيجاد نوع من التجانس بين الجميع مع احتفاظ كل واحد بخصوصياته

---

(١) غالب، مصطفى: مرجع سابق - حاول إيجاد علاقة بين الفرق الإسلامية والإمام الصادق، راجع كتابه المذكور.

(٢) في إشارة الى العلوم التجريبية وخاصة منها الكيمياء والطب والفلك وعلاقة جابر بن حيان بالإمام الصادق(ع).

تاركاً المجال لحركة الصراع الفكري كي تأخذ فعلها تأثراً وتأثيراً مع الزمن وهذا جانب آخر من شخصية هذا الإمام الفذة التي أسست للتثاقف داخلياً وخارجياً على أساس إسلامي بحيث يمكن الاستفادة من خطوطه العامة في حالات التصادم الثقافية والحضارية بين الشعوب والأمم كما هو الحال اليوم بيننا وبين الغرب.

كيف استطاع الصادق أن يخطط لثقافة إسلامية عالمة بمواجهة الثقافات والحضارات الأخرى التي انفتح عليها المسلمون آنذاك؟ وكيف نظر تكتيكياً واستراتيجياً لذلك؟ هذا ما يجب النظر فيه والاستفادة منه خاصة ونحن أمام مواجهة ثقافية وحضارية متعددة.

في فكر الدولة



في الاعتراف الواقعي - الوضعي - بالدولة لا الاعتراف القانوني - الشرعي - بها أو في التأسيس لماهية الاعتراف بالنظام السياسي الحاكم[1]

ربما وجد الباحث روايات عديدة تبدو للوهلة الأولى أنها متناقضة إلا أن التأمل العميق فيها كاف لاستكشاف نظرية سياسية متكاملة للإمام الصادق.

مرة أخرى يؤكد الباحث أنه لا يسقط آخر ما توصل إليه الفكر البشري المعاصر على القرن الأول للهجرة أو الثامن الميلادي لأنه يعي أن الفكر المذكور استغرق ملايين السنين قبل أن يتوصل الى ما توصل إليه حديثاً وخاصة على مستوى الفكر السياسي. إن الباحث يؤكد أن هذا الفكر البشري لم يخل في حركته من طفرات أحدثها عظماء التاريخ قديماً وحديثاً وجعفر بن محمد الصادق هو بلا شك أحد هؤلاء.

يعترف الصادق فعلياً أو واقعياً بالسلطة القائمة ولا يطالب المجتمع الإسلامي بهذا الاعتراف فحسب بل يدفعه ويلزمه بذلك ولكن لا الى درجة الانسحاق والذوبان فيها بل ضمن حدود وشروط «لا تذلوا رقابكم بترك طاعة السلطان، فإن كان عادلاً فاسألوا الله بقائه، وإن كان غير ذلك فاسألوا الله إصلاحه»[2].

الدعوة المذكورة لا تبعد عن الخط العام لرسالة الحقوق لزين العابدين بن علي «وحق السلطان أن تعلم أنك جعلت له فتنة، وأنه مبتلى فيك

---

(١) المحلي او الاقليمي او الدولي.

(٢) الوسائل ١١/٤٧٣ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حديث عن الصادق عن آبائه(ع).

بما جعل الله له عليك من السلطان، إن عليك ألا تتعرض لسخطه، فتلقي بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما سيأتي عليك من السوء»[1].

إن ما ورد ذكره لا يعني إطلاق الولاية للحاكم أو للسلطة السياسية بقدر ما هي دعوة للخضوع الى السلطان بما هو سلطنة وربما يقترب هذا المفهوم من السلطة العامة أو السيادة العامة التي تملكها الدولة كشخص معنوي لديه حقوق وعليه التزامات لا علاقة لها بشرعية أو عدم شرعية الأشخاص الماديين القائمين عليها ودليله ما ورد عن الصادق(ع): «وأما وجه الحرام من الولاية فولاية الوالي الجائر، ولاية ولاته العمل لهم والكسب معهم لجهة الولاية لهم حرام محرم، معذب فاعل ذلك، على قليل من فعله أو كثير، وذلك إن في ولاية الوالي الجائر دروس الحق كله، فلذلك حرم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم، إلا لجهة الضرورة الى الدم والميتة»[2].

لقد جعل السيد الخوئي (رض) من الحديث الأخير دليلاً على تحريم معاونة الظالمين إلا أن الشيخ محمد مهدي شمس الدين لا يرى فيه دليلاً على حرمة مطلق العمل معهم[3].

في الواقعية السياسية:

إن السيرة الشرعية والسيرة العقلانية تؤكد أن كل الأنبياء والرسل والأئمة بعثوا في ومن وإلى قرى وأقوام وأمم أي أنهم بعثوا في ومن وإلى واقع من أجل النهوض به. وهذا يعني أن حركتهم كانت واقعية لا غيبية. إنها حركة الشرعية بمواجهة اللاشرعية وحركة القانون والنظام والعدالة بمواجهة اللاقانون

---

(١) الوسائل ١١/١٣٣ ـ ١٣٤ باب جهاد النفس.

(٢) الوسائل ١٣/١٣٩ باب ما يكتسب به حديث عن الحسين بن علي عن شعبة البحراني عن الصادق(ع).

(٣) شمس الدين، محمد مهدي: في الاجتماع السياسي الإسلامي، المؤسسة الجامعية والمؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٢، ص:٣٠٥.

واللانظام واللاعدالة وهي بالتالي حركة الطبيعة البشرية والطبيعة الكونية. ولكن ما هو الطبيعي في الفكر السياسي وفي الممارسة السياسية للفكر الجعفري؟ إنها القاعدة التي تقول: «إن الناس إنما هم في هدنة»[١]، أي أن الكل مجبور على أن يهادن الكل في سبيل العيش المشترك والمصلحة العامة، لعل هذه الحكمة القانونية هي حقيقة تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية عامة ولعل التاريخ البشري كله هو تاريخ هدنة أزلية أبدية انتقل الإنسان خلالها من غالب الى مغلوب أو من وضع الى آخر سلباً وإيجاباً في مسيرة حياته المضنية مع التأكيد على أن الهدنة غير المهادنة بل هي اللامهادنة مطلقاً. إنها استمرار للصراع بوسائل أخرى، او هي استراحة تكتيكية للتخطيط الاستراتيجي على مستوى الصراع ككل وقد استفادت إسرائيل من هدنتها مع العرب والمسلمين رسمياً وشعبياً لتوظف الصراع لمصلحتها على ما هي عليه عملية السلام الحالية[٢].

ضمن هذا الخط وفي إطار هذا القانون العام تحرك الصادق للاعتراف الضمني بالواقع لا الاعتراف الشرعي أو القانوني به. وفي الوقت الذي دعى فيه الى هيبة السلطان ـ السيادة ـ أعطى الشعب حق المقاومة والمواجهة السلمية أو ما سيعرف بالعصيان المدني في اللغة السياسية المعاصرة موضحاً الطريقة والأسباب عندما استأذنه أحد الكتاب المسلمين: «جعلت فداك إني، كنت في ديوان هؤلاء القوم ـ بني أمية ـ فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً، وأغمضت في مطالبه، فقال أبو عبدالله(ع): لولا أن بني أمية وجدوا لهم من يكتب، ويجبي لهم الفيء، ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم، لما سلبونا حقنا، ولو يتركهم الناس وما في أيديهم؟ ما وجدوا شيء إلا وقع من أيديهم[٣].

---

(١) الوسائل ١١/٤٥٩ ـ ٤٦٠ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث للإمام الصادق.

(٢) يرى الباحث أن أي عمل فكري أو ثقافي او علمي لا يتطرق الى المسألة الاسرائيلية او الفلسطينية هو عمل مبتور ولا يساهم في تحرير أرضنا أو إنساننا.

(٣) الوسائل ١٢/١٣٨ باب ما يكتسب به عن علي بن حمزة عن الصادق(ع).

هذه السياسة المدنية سيحملها ابنه الإمام موسى الرضا(ع) مع صفوان الجمال « . . . يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً؛ قلت: جعلت فداك؛ أي شيء؟ قال: اكراؤك جمالك لهذا الرجل - يعني هارون الرشيد - قال: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا لصيد او لهو، ولكن أكريته لهذا الطريق - طريق مكة المكرمة - ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني. فقال لي: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قلت؛ نعم، قال: أتحب بقاؤهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم، قال: من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم فهو وارد في النار»[1].

إنها ليست دعوة الى التمرد بالمطلق بقدر ما هي دعوة الى اتخاذ الموقف السياسي المناسب في الظرف المناسب من أجل تحقيق بعض المكاسب لصالح الإسلام والمسلمين. كما أنها ليست دعوة الى الخروج عن هياكل الدولة أو مؤسساتها فالعكس هو الصحيح تماماً، لأن العصيان المدني وتأثيره الفعال لا يأتي إلا عندما يكون القائمون به يملكون من الفعالية والقوة داخل مختلف هياكل وشرايين الدولة دوراً فعالاً وإلا انتفت القضية بانتفاء موضوعها. . . لقد ورد عن الصادق أن من تولى أمراً من أمور الناس، فعدل، وفتح بابه أو رفع ستره ونظر في أمور الناس، كان حقاً على الله عز وجل أن يؤمن روعته يوم القيامة ويدخله الجنة[2]، وهي دلالة مطلقة الدلالة على مشروعية العمل في الحكومة اللاشرعية بهذه الشروط على ما يذكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين[3] ولعل رواية عبدالله بن سليمان تؤكد وتدعم هذا الاتجاه، قال: «كنت عند جعفر بن محمد الصادق(ع) فإذا بمولى لعبدالله النجاشي قد ورد عليه فسلم وأوصل إليه كتابه ففضه وقرأه، الى أن قال: إني بليت بولاية الأهواز فإذا رأى سيدي ومولاي أن يحدد لي حداً، ويمثل لي مثالاً لأستدل به على ما يقربني الى

(١) الوسائل: مرجع سابق ١٣/ ١٣٩.
(٢) الوسائل: مرجع سابق ١٣/ ١٣٩.
(٣) شمس الدين، محمد مهدي: مرجع سابق ص:٣٠٨.

الله عز وجل وإلى رسوله فأجابه الإمام بجواب طويل فيه أن المعيار من مشروعية عمله: إقامة العدل الإسلامي، والكف عن الظلم، والإحسان الى الناس، وكف الأذى عن المعارضة ـ الشيعة آنداك ـ وكف الأذى عن أولياء الله، والرفق بالرعية، والتأني، وحسن المعاشرة. . . وارتق فتق رعيتك بأن توقفهم على ما وافق الحق والعدل[1].

فالمسألة إذن ليست في أن تعمل او لا تعمل في الدولة اللاإسلامية او اللاشرعية بل في أن تستغل وظيفتك بما ينفع الناس كل الناس في الدنيا والآخرة وبما يحقق للقضية الإسلامية تقدماً هنا او هناك.

إن الحديث المذكور وما شابهه يحكي الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للعلاقة المتوترة آنذاك بين المجتمع والدولة لدرجة شيوع أزمة نفسية وأخلاقية عامة تنفر من الدولة كسلطة قمعية وظالمة وكأداة ترهيب تاريخية حتى يومنا هذا. إلا أن الصادق تصدى وبكل تفكير إسلامي شرعي وموضوعي وعلمي لهذه الظاهرة الخطيرة والمدمرة للدولة وللمجتمع على حد سواء عبر الدعوة الى اختراق مختلف هياكلها ومؤسساتها من أجل تحقيق نقاط إيجابية للخط والحركة الإسلامية العامة.

فإذا كان السلم الأهلي والأمن العام والوحدة او الانصهار القومي بالمفهوم المعاصر يفرض التعاون فذلك لا بد منه شرعاً «لأن لله تبارك وتعالى مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أوليائه»[2] ولعل هذا ما يفسر ذلك التوجه الإسلامي العام للشيعة خاصة باتجاه الانخراط في البنية السياسية للدولة العباسية في عهد الصادق(ع) ومن بعده بدرجات متفاوتة.

إن الباحث لا يشك في وجود نظرية سياسية للدولة تميز بها الفكر الجعفري، حيث يرى فيها أداة خدمات عامة للصالح العام وهو نفس المذهب القانوني الإداري المعاصر تقريباً. تلك الدولة التي يجب الدفاع عنها

---

(١) الوسائل: ٣/ ١٥٠ ـ ١٥١ باب ما يكتسب به.
(٢) الوسائل ١٣/ ١٣٩ باب ما يكتسب به.

والانخراط في جيشها حتى وإن كانت غير شرعية لأن حفظ كيانها المادي والمعنوي يتجاوز حفظ كيان القائمين عليها لأنها أطول عمراً من أصحابها. سئل أبو عبدالله(ع) عن رجل مسلم وهو في ديوان هؤلاء وهو يحب آل محمد(ص) ويخرج معهم فيقتل تحت رايتهم؟ قال: يبعثه الله على نيته[1]. كما سئل عن الغزو مع غير الإمام العادل قال: إن الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة[2]. الأهم والأخطر من ذلك ما رواه هند السراج عن الإمام الباقر: قلت لأبي جعفر: أصلحك الله، إني كنت أحمل السلاح الى أهل الشام فأبيعه بينهم، فلما عرفني الله هذا الأمر ـ مذهب آل البيت(ع) ـ ضقت بذلك ذرعاً وقلت: لا أحمل الى أعداء الله، فقال لي: احمل إليهم وبعهم فإن الله يدفع بهم عدونا وعدوكم ـ يعني الروم آنذاك ـ فإذا كانت الحرب بيننا فلا. فمن حمل الى عدونا سلاحاً يستعين به علينا فهو مشرك[3].

الحركة الإسلامية المعاصرة والدولة القومية: دعوة صادقية

لقد تفطنت الدولة القومية المعاصرة الى تغلغل الإسلاميين الى مختلف مؤسساتها وبدأت منذ أكثر من عقد من الزمن حركة تطهير إداري شاملة شملتهم وشملت أتباعهم وأنصارهم في كل من تونس والجزائر ومصر والأردن ولعل أبناء الحركة الإسلامية في البلدان المذكورة مدعوون لمراجعة خطواتهم في المستقبل المنظور ولعل دراسة الصادق في خطه وفكره وحركته مهمة لهؤلاء جميعاً للتقية من أعدائهم في الداخل والخارج.

إن الإسلاميين مدعوون هنا وهناك للاشتغال أكثر على فكر الدولة وفكر المجتمع السياسي وفكر المجتمع المدني وغيرها من الأفكار السياسية والاجتماعية والعلاقات المتداخلة بينها خاصة أمام الصراع الذي أصبح حضارياً

(١) الوسائل ١١/١٤٦ باب ما يكتسب به.
(٢) الوسائل ١٣/١٤٠ حديث عن عمر الشامي (السلمي) عن الصادق(ع).
(٣) الوسائل ١٣/٦٠، ٧٠ باب ما يكتسب به.

واستراتيجياً على مختلف المستويات المحلية والاقليمية والدولية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾[1].

﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾[2].

صدق الله العظيم

(١) القرآن الكريم. سورة يوسف الآية ٢٧.

(٢) القرآن الكريم. سورة المائدة الآية ٢٣.



حول نظرية الحكم والإدارة في الإسلام

الشورى والولاية في المذهب الجعفري

ليس مراد الكتاب البحث في نظرية الحكم الإسلامي بالتفصيل وتحديداً الفصل أو المقابلة او المقارنة بين مدرستي الخلافة التي تقول بالشورى والإمامة التي تقول بالولاية بقدر ما يطمح الباحث الى تسجيل مدخل فقهي سياسي مقارن بين النظريتين من أجل إعادة الاعتبار للفكر وللممارسة السياسية في الإسلام ومن ثم تصحيح النظرة الخاطئة التي يحملها أحد الطرفين ضد الآخر.

الشورى في الفكر الجعفري:

لقد فوجىء الباحث بوجود تراث شوروي ورد عن الإمام الصادق وغيره من الأئمة فكراً ودعوة وممارسة وسلوكاً وفوجىء أكثر بأن الأحاديث الواردة عنهم والتي تتحدث عن الشورى تتعدى كماً وكيفاً ما ورد لدى أئمة السنة والجماعة.

وهذا يعني أن مدرسة الإمامة تبنت نظرياً وعملياً الشورى كنظام إسلامي أصيل[١] قديماً وحديثاً[٢] في حين أقصت مدرسة الخلافة الإمامة الشرعية كنظرية إسلامية في الحكم والإدارة على مستوى الدولة.

عن أبي عبدالله(ع) قال: إستشر العاقل من الرجال الورع، فإنه لا يأمر إلا بخير وإياك والخلاف، فإن مخالفة الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا[٣].

وعنه أيضاً(ع): مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله فإذا

---

(١) استشار النبي صحابته وكذلك فعل الأئمة في مواقع عديدة.
(٢) إشارة الى مجلس الشورى في الجمهورية الإسلامية الايرانية.
(٣) المحاسن ٦٠٢.

أشار عليك الناصح فإياك والخلاف، فإن في ذلك العطب[١].

وعنه(ع) فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً(ع): لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير[٢].

وعنه عن أبيه قال: قيل يا رسول الله ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي وأتباعهم[٣].

عن أبي عبدالله(ع) قال: من استشار أخاه فلم ينصحه محض الرأي سلبه الله عز وجل رأيه[٤].

- استشيروا في أمركم الذين يخشون ربهم[٥].

- شاور في حديثك الذين يخافون الله[٦].

- ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قبل له به أن يستشير رجلاً عاقلاً له دين وورع، ألا أنه إن فعل ذلك لن يخذله الله، بل يرفعه الله ورماه خير الأمور وأقربها إلى الله[٧].

- إن المشورة لا تكون إلا بحدودها، فمن عرفها بحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له، فأولها: أن يكون الذي تشاوره عاقلاً، والثانية يكون حراً متديناً، والثالثة: أن يكون صديقاً مؤاخياً، والرابعة: أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك به، ثم يسر ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا أطلعته على سرك فكان علمه به كعلمك به

---

(١) المحاسن ٦٠٣.
(٢) المحاسن ٦٠١.
(٣) المحاسن ٦٠١.
(٤) المحاسن ٦٠٠.
(٥) المحاسن ٦٠١.
(٦) المحاسن ٦٠١: عن الصادق(ع) عن علي(ع).
(٧) المحاسن ٦٠٢.

تمت المشورة، وكملت النصيحة[١].

إن الإمام الصادق عليه السلام ينهج خطى الأئمة من قبله وبعده بدءاً بالإمام علي عليه السلام في: من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها[٢].

وفي الاستشارة عين الهداية[٣] وفي خاطر من استبد برأيه[٤].

وفي وصيته لمحمد بن الحنفية: أضمم آراء الرجال بعضها الى بعض واختر أقربها الى الصواب وأبعدها من الارتياب ـ إلى أن قال ـ قد خاطر بنفسه من استغنى برأيه، ومن استقبل وجوه الناس عرف مواقع الخطأ.

إن كل الأحاديث الواردة عن الصادق عليه السلام: والأئمة(ع) حول الشورى أورد مثلها أبا هريرة في قوله عن رسول الله(ص): استشيروا العاقل ولا تعصوه فتندموا[٥] والترمذي في سننه عن رسول الله(ص) قال: إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم أو أمركم شورى بينكم فظهر الأرض حتى خير لكم من بطنها[٦] وغيرها مما ورد في صحاح السنة.

يرى السيد الحكيم أن الشورى الواردة في القرآن والسنة بشقيها لا تسلب الولي صلاحية إتخاذ القرار استناداً الى قوله سبحانه وتعالى: **﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾** وإلى حديث الإمام علي عليه السلام أنه قال لعبدالله بن العباس ـ وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه ـ عليك أن تشير علي، فإذا خالفتك فاتبعني[٧].

---

(١) المحاسن ٦٠٢.
(٢) نهج البلاغة ١٤٨ حديث للإمام علي(ع).
(٣) نهج البلاغة ١٩٣ حديث للإمام علي(ع).
(٤) وحده معه ٦/ ٤ ومسند ابن حنبل ٥/ ٩٨.
(٥) الوسائل ٨/ ٤٠٩.
(٦) سنن الترمذي.
(٧) السيد الحكيم، محمد باقر: العلاقة بين الشورى والولاية في الإسلام، دار الأعراف للدراسات والنشر ط١، ١٩٩٣.

وهذا يعني أنها ليست شورى ملزمة وغاية ما في الأمر أنها ـ الشورى ـ أفضل الطرق لمعرفة الواقع ويبقى القرار النهائي للولي الفقيه العادل الكفؤ ليختار أفضل الآراءبعد استماعه لوجهات النظر المختلفة[١].

إن السيد الحكيم يتبنى هنا نظرية الشهيد الصدر رضي الله عنه في خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء حيث تمارس الأمة خلافتها العامة التنفيذية والتشريعية على أساس قاعدة الشورى ولكن ضمن إطار الإشراف والرقابة الدستورية من المجتهد الجامع للشرائط الذي هو جزء مهم من الأمة وله عمق في وجودها الاجتماعي والسياسي بالإضافة الى دوره الشرعي[٢].

وهي النظرية التي تبناها تقريباً دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية[٣] إن السيد الحكيم يستند في إيمانه بولاية الفقيه الى القرآن والسنة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾، وفي الأحاديث النبوية التي وردت عن طريق السنة والشيعة حول ذكر الأئمة الاثني عشر كقول البخاري وأحمد بن حنبل وابن كثير وغيرهم عن رسول الله (ص) يكون بعدي إثنا عشر خليفة[٤] وقول مسلم وابن حنبل بمسنديهما الى النبي(ص): لا يزال الدين قائم حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثني عشر خليفة[٥].

إن السيد الحكيم يلفت إلى ما ذكره الإمام علي عليه السلام: العلماء حكام على الناس[٦] وما ورد عن أبي عبدالله الحسين(ع) عن الإمام علي عليه السلام: إن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه[٧] ولعلنا نختم بالنظرية السياسية للإمام الصادق عليه السلام التي استند

---

(١) الوسائل ٤/٥٩٣ عن السيد الحكيم مرجع سابق ص:٨٨.
(٢) محمد باقر الحكيم مرجع سابق ص:٩٣.
(٣) الإسلام يقود الحياة ١٦٩ ـ ١٧١ للشهيد محمد باقر الصدر.
(٤) السيد الحكيم مرجع سابق ص ٤٤.
(٥) التاريخ الكبير ١/٤٤٦ ومسند ابن حنبل ٥/٩٣.
(٦) صحيح مسلم والبخاري ٦/ ٤ ومسند ابن جنبل ٥/٨٩.
(٧) مستدرك الوسائل باب ١١ وتحف العقول ٣٣٧.

إليها ايضاً السيد الحكيم في قوله بإمامة الولي الفقيه. فقد ورد عن أبي عبدالله (ع) قوله: اتقوا الله فإنما الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي (كنبي) أو وصي نبي[١]. وهذه الروايات وغيرها تدل على أن منصب الحكم ومن ثم القضاء هي للحاكم أو الولي الشرعي وهو النبي أو الوصي[٢] إن للسيد الحكيم وللشهيد الصدر (رض) وللإمام الخميني (قدس) ولغيرهم من فقهاء المذهب الجعفري المعاصرين نظريات متعددة ومتنوعة حول نظام الحكم والإدارة في الإسلام كما للسيد محمد حسين فضل الله[٣] وللشيخ محمد مهدي شمس الدين[٤] وغيرهم. وهذا ما يعكس عظمة ورحابة فكر الإمام جعفر بن محمد الصادق. وإنه لمؤسف حقاً ألا تتوجه الدراسات الأكاديمية المعاصرة وخاصة منها الإسلامية الى اكتشاف فقه الإمام الصادق وفقه أتباعه القدامى والمعاصرين ولعلها دعوة الى ذلك.

---

(١) مستدرك الوسائل باب ١١ وتحف العقول ٣٣٣.

(٢) الوسائل ١٨.

(٣) للوقوف على نظرية السيد محمد حسين فضل الله يرجع الى كتاباته ومقالاته وحواراته.

(٤) للوقوف على نظرية الشيخ محمد مهدي شمس الدين يرجع الى كتاباته ومقالاته وحواراته.



في التأصيل للتقية



في التأسيس لديبلوماسية العيش المشترك

﴿بسم الله الرحمن الرحيم لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير﴾[١].

﴿ومن كفر بعد إيمانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليه غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾[٢].

عن سفيان بن سعيد قال سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: يا سفيان عليك بالتقية فإنها سنة إبراهيم الخليل(ع) وإن الله عز وجل قال لموسى وهارون: إذهبا الى فرعون إنه طغى وقولا له يا أبا مصعب، وأن رسول الله(ص) كان إذا أراد سفراً ورى بغيره، وقال عليه السلام: أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض، ولقد أدبه الله عز وجل بالتقية فقال: إدفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم[٣].

إن الخلافات والعداوة لم ولن تنته ما دب على الأرض بشر ولذلك خلقهم **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾**[٤] **﴿قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾**[٥].

---

(١) القرآن الكريم. سورة آل عمران الآية ٣٨.
(٢) القرآن الكريم. سورة النحل الآية ١٠٦.
(٣) جامع أحاديث الشيعة، باب التقية ص ٥١٤.
(٤) القرآن الكريم. سورة البقرة الآية ٢٥١.
(٥) القرآن الكريم. سورة البقرة اقية ٣٠.

ولكن كيف السبيل الى تجاوز وحل تلك الخلافات؟ وكيف يمكن للعداوة أن تتحول الى موالاة وصداقة حميمة؟ بل كيف يصبح كسب ود العدو خير من قتله في الإسلام؟ بالتأكيد لا يمكن تحويل النقيض الى نقيضه ولكن يمكن خفض مستوى حدة التنافر أو التوتر وهنا دور الدفع بالتي هي أحسن، بأي شكل اتخذه هذا الدفع أو التدافع او المواجهة. ولا مجال هنا إلا للكملة الحسنى وللموقف الحسن ومن ثم للديبلوماسية في القول والعمل من أجل تحقيق الأهداف الخاصة أو العامة، الذاتية او المشتركة، في السلم أو الحرب وفي السياسة أو في الاقتصاد او في الاجتماع او في التربية او في الثقافة وهل الاستعمار الحديث إلا العلم والفن الدبلوماسي في الفعل ورد الفعل؟!...

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فاسألوا ربكم العافية وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتنزه عما تنزه الصالحون قبلكم، وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم دينوا فيما بينكم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام، فإنه لا بد لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم الكلام بالتقية التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم، فإذا ابتليتم بذلك منهم، فإنهم سيؤذونكم وتعرفون وجوههم المنكر، ولولا أن الله يدفع عنكم لصتوا بكم وما في صدورهم من العداوة والبغضاء أكثر مما يبدون لكم مجالستهم، ومجالستهم واحدة وأرواحهم مختلفة لا تأتلف، لا تحبونهم أبداً، ولا يحبونكم ابداً، غير أن الله تعالى بالحق أكرمكم وبصركموه ولم يجعلكم من أهله وتصبرون عليهم، وهم لا مجاملة لهم ولا صبر لهم على شيء، وحيلهم وسواس بعضهم الى بعض، فإن أعداء الله إن استطاعوا صدوكم عن الحق. فيعصمكم الله من ذلك فاتقوا الله»[1].

إن هذه الرسالة النص هي وثيقة اجتماعية عابرة للزمان والمكان ولكل الأجناس والأعراق والأديان، إن الصادق يرمي بجماعته ومن ثم بالجماعة الإسلامية في لج الصراع ويقذف بها في بوتقة الحياة العامة لتتعلم فن إثبات

(١) جامع أحاديث الشيعة ـ كتاب جهاد النفس ج١٤ باب التقية ص٥١١.

الوجود بمواجهة الآخر ومعه، إنه يقول لا للعزلة الاجتماعية عن الحياة وعن الصراع ونعم للدخول في الواقع بكل سلبياته وإيجابياته كضرورة حياتية لا بد منها وانتهاج الحيطة والحذر والمبادرة في الفعل ورد الفعل دفاعاً وهجوماً من أجل ضمان موقع قدم فعال للإسلام وللمسلمين.

إن إحدى أبرز هزيمتنا الحضارية هو الابتعاد عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا على المستوى المحلي أو الاقليمي أو الدولي فحسب بل وعلى المستوى الفردي الخاص والجماعي العام ايضاً. ولا سبيل لنا إلا بالرجوع الى حظيرة المجتمعات المحلية والاقليمية والدولية ومختلف مؤسساتها وهياكلها في محاولة لأي عملية تغيير نطمح إليها كإسلاميين وذلك ضمن الاطار العام لخط الحركة والعمل الإسلامي.

فلسفة التقية:

لقد دخل الصادق ساحة المعركة الفكرية والثقافية والحضارية آنذاك واستطاع أن ينسف كل معالمها وبنيتها الفلسفية التحتية، ناظر الجميع، ورد على الجميع، وأسس له قاعدة عريضة اكتسحت الأمصار لقرون من الزمن بعده حتى يومنا هذا.

كيف حقق الصادق ذلك الاختراق؟ كيف تحركت تقيته سراً؟ كيف تحركت علناً؟ كيف أعاد الى التاريخ نخبة إسلامية كادت تنقرض في عهده؟ كيف أعاد وفي بضع سنين من عمره روح الأمة النابض لذلك الجسد الذي تمزق أشلاء؟ من القرن الثاني للهجرة الى القرن العشرين، كيف استطاع الإمام الخميني(قده) أن يزج بمجتمعه في حمأة الصراع المحلي والاقليمي والدولي في أول حرب حضارية معاصرة الأولى من نوعها تماماً كما واجه الإمام الصادق أول حرب حضارية الأولى من نوعها في تاريخه.

ويسأل الصادق عن قوله تعالى: ﴿**اجعل بينكم وبينهم ردما**﴾ فيقول: التقية!. وعن قوله: ﴿**فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً**﴾ فيقول:

التقية!. وعن قوله: ﴿**فإذا جاء وعد ربي جعله دكاً**﴾ فيقول: التقية! وعن قوله: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة**﴾ فيقول: التقية[1].

تبدو التقية في القرآن الكريم كعلم وفن الحركة في الحياة بكل ما فيها من خير وشر ومن فيها من أخيار وأشرار.

إن التقية هي أساس أي عمل حزبي أو تنظيمي اعتمدها الصادق لضمان سرية عمله وحركته.

فعن المفضل بن عمر الجعفي قال: دخلت على أبي عبدالله(ع) يوم صلب فيه المعلى، فقلت: يا ابن رسول الله، ألا ترى هذا الخطب الجليل الذي نزل بالشيعة في هذا اليوم؟ قال: ما هو؟ قلت: قتل المعلى بن خنيس! قال: رحم الله المعلى! قد كنت أتوقع ذلك لأنه أذاع سرنا، وليس الناصب لنا حرباً بأعظم موبقة علينا من هذا المذيع علينا سرنا، فمن أذاع سرنا الى غير أهله لم يفارق الدنيا حتى يعضه السلاح أو يموت خبلاً[2].

أما إسحاق بن سمان فيورد أن الصادق ذكر هذه الآية: ﴿**ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾ قال والله ما قتلوهم بأيديهم، ولا ضربوهم بأسيافهم ولكن جمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها، فقتلوا فصار منكراً واعتداءاً ومعصية[3]. لقد حذر الصادق أتباعه من مغبة الحديث الذي لا يؤدي إلا الى التهلكة أو الى آثار سلبية على برنامجه وحركته أو حركة أتباعه وأنصاره، وفي الوقت الذي دعاهم للانفتاح على المجتمع بسلبياته وإيجابياته فقد حصنهم بأسلوب عمل رواه عنه عبدالله بن سنان قال: طوبى لعبد نومة، عرف الناس فصاحبهم ببدنه ولم يصاحبهم في أعمالهم بقلبه، فعرفوه في الظاهر وعرفهم في الباطن[4] وهو

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، مرجع سابق ص ١١٥ حديث عن الإمام الصادق(ع).
(٢) حديث عن جابر عن أبي عبدالله، جامع أحاديث الشيعة، مصدر سابق ص ٥١٤.
(٣) جامع أحاديث الشيعة، مصدر سابق ص ٥٤٨.
(٤) جامع أحاديث الشيعة، مصدر سابق ص ٥٤١.

نفس المذهب الذي ارتآه الإمام علي بن أبي طالب(ع) في: «أضلتكم فتنة عمياء، لا ينجو منها إلا النومة، قيل ومن النومة؟ قال: من لا يدري الناس ما في نفسه»[١].

إن علم وفن الحركة بصمت وبهدوء وتروي وعقلانية يعد اليوم جوهر العمل الديبلوماسي الناجح في شتى المجالات وعلى مختلف المستويات: «يا ابن النعمان من كان قبلكم كانوا يتعلمون الصمت، وأنتم تتعلمون الكلام، كان أحدهم إذا أراد التعبد يتعلم الصمت قبل ذلك عشرة سنين، فإن كان يحسنه ويصبر عليه تعبد وإلا قال: ما أنا لما أروم بأهل، إنما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء وصبر في دولة الباطل عن الأذى. . . يا ابن النعمان إن المذيع علينا ليس كقاتلنا بسيفه، بل هو أعظم وزراً، بل هو اعظم وزراً، بل هو اعظم وزراً، يا ابن النعمان إن من روى علينا حديثاً، فهو ممن قتلنا عمداً ولم يقتلنا خطأً[٢].

إشكالات حول التقية:

لقد تطرق السيد محمد حسين فضل الله الى العنصر السلبي الذي يمكم أن تثيره التقية كأن تصبح خطراً على الدين والعقيدة والسلوك ولفت إلى أن المسألة ليست بهذا الحجم ـ من الخطورة ـ في مسيرة الخط والعمل والحركة الإسلامية لأن التقية تقتصر على الجزئيات الصغيرة التي لا تقترب من القضايا الكلية الكبيرة بحيث لا يؤدي الى فساد في الدين[٣]، كما أشار السيد الى أن الصادق وضع حدوداً للتقية منها قوله(ع): «وتفسير ما يتقي، مثل أن يكون قوم سوء، ظاهر حكمهم وفعلهم على غير حكم الحق وفعله، فكل شيء يعمله المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدي الى الفساد في الدين فإنه جائز[٤] وهذا هو الحد

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، مصدر سابق ص ٥٤٢.
(٢) حديث الإمام علي بن أبي طالب، مصدر سابق ص ٥٤٢.
(٣) مصدر سابق ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠. حديث للإمام الصادق(ع).
(٤) فضل الله، محمد حسين: مؤتمر الإمام الصادق الدولي، مرجع سابق ص ٣٨.

الشرعي الذي لا بد للتقية أن تقف عنده بحيث لا تترك تأثيرها على الخط الفكري العام أو النهج السياسي، أو الروحية الشعبية العامة في خط الدعوة والحركة والجهاد[1].

إن التقية ليست خطاً ممتداً في حياة الإنسان المؤمن بدون تحفظ، بل هناك تحفظات في المورد والطرق والشخص والنتائج مما يجب الرجوع فيه الى العالمين بحدود الله العارفين بالمواقع التي تتحرك فيها القضايا وهذه التحفظات والحدود وردت في الكافي عن الكليني عن هارون بن مسلم عن مسعد بن صدقة عن أبي عبدالله(ع): «إن المؤمن إذا أظهر الإيمان ثم ظهر منه ما يدل على نقيضه خرج مما وصف وأظهر وكان له ناقضاً الى أن يدعي أنه إنما عمل ذلك تقية، ومع ذلك ينظر فيه، فإن كان ليس مما يمكن أن تكون التقية في مثله لم يقبل منه ذلك، لأن للتقية مواضع من أزالها عن مواضعها لم تستقيم له[2].

ويستخلص السيد من هذا الحديث أن التقية قد تتحول لدى الكثير من الناس الى عذر شامل عن الانطلاق في الخط الجهادي، حتى لو كانت الأوامر صادرة عن القيادات الإسلامية من أجل الانتصار لها وللقضية الكبرى، في الوقت الذي لا مجال فيه للتقية أمام المهمات التي تفرضها الخطة القيادية لأنها تمثل حركة الأمة الحاسمة نحو الهدف الكبير من خلال ما تملكه القيادة في مواقع الأمانة المعصومة من رؤية واضحة ومعلومات دقيقة لأن الموقف هو موقف الشهادة أو التضحية أو مواجهة الخطر لا موقف السلامة والأمن والاسترخاء والبعد عن الخطر.

حدود التقية:

أخيراً يلفت السيد الى حديث ورد في التهذيب عن الشيخ الطوسي بإسناده عن محمد بن الحسن الصفار عن يعقوب (أبي يزيد) عن الحسن بن

---

(١) وسائل الشيعة ج١٣ نقلاً عن الكافي.

(٢) فضل الله، مرجع سابق ص ٣٨.

علي عن فضال عن شعيب العقرقوفي عن أبي حمزة الثمالي قال أبو عبدالله(ع): إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم، إذا بلغت التقية الدم فلا تقية[1] في هذه الحالة يكون الوضع يحكي الدفاع عن الحياة المقدسة التي يجب الدفاع عنها بكل الوسائل والقضية التي تبرر التقية في هذا المجال هو حفظ الإنسان حياته[2].

ولعلنا نشير الى أن السيد محمد حسين فضل الله كفقيه إسلامي ومرجع ديني يرجع التقية الى القرآن والسنة في ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾[3] وفي ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾[4] وفي الحديث «لا ضرر ولا ضرار»[5] كأصول شرعية ثابتة تحكي قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تأصيل قاعدتي نفي الحرج ونفي الضرر كقاعدتين فقهيتين في تفريغ موارد الرخصة في أجواء أحكام الإلزام الحرجية والضررية وسواء كانت التقية تتحرك في المجتمع المسلم أو المجتمع الكافر حيث تكون حركة الأحكام تابعة لحركة الموضوعات[6].

التقية خط إسلامي عام:

هل كانت التقية شأناً شيعياً، بحيث كان الخط الذي ترتكز عليه من الخطوط الخاصة التي انطلق فيها أئمة أهل البيت(ع) وفي مقدمتهم الإمام جعفر الصادق(ع) من ذاتية فكرية جديدة على التفكير الإسلامي، أو بعيدة عن المنطلقات الإسلامية، أو كانت المسألة مسألة ظروف شيعية معينة ضاغطة، أعطت التقية هذا البعد العنواني للتشيع بحيث كانت القضية قضية انطباق

---

(١) وسائل الشيعة ج١٣، نقلاً عن الكافي. نقلاً عن السيد فضل الله، مرجع سابق ص ٣٩.
(٢) مصدر سابق ص ٣٨٣.
(٣) فضل الله، مرجع سابق ص ٣٩.
(٤) القرآن الكريم. سورة الحج الآية ٧٨.
(٥) القرآن الكريم. سورة البقرة الآية ١٨٥.
(٦) الكافي ج٥ ص ٢٩٣.

العنوان الإسلامي الكلي على الجزئيات الخاصة[1].

إن النظرة السلبية للتقية من قبل الأكثرية المسلمة ـ السنة ـ كانت منطلقة من الوضع الطبيعي الذي عاشته جماهيرها التي لم تتعرض لحالة الاضطهاد المذهبي كما تعرض الشيعة الى ذلك[2].

ولعلنا نجد في بعض الفجوات التاريخية التي عاشها بعض العلماء من المذاهب الإسلامية الأخرى، أنهم كانوا يمارسون التقية أمام الحاكم عندما يتعرضون للاضطهاد ويواجهون الخطر على حياتهم في التزاماتهم الفكرية، كما لاحظنا ذلك في مسألة خلق القرآن التي أثارت جدلاً كبيراً بين المسلمين عندما التزم بعض الخلفاء العباسيين القول بخلق القرآن لأن الالتزام بقدمه يؤدي الى الشرك، فعمل على اضطهاد العلماء الذين لا يقولون بقوله: وقد ذكر المؤرخون أن المأمون العباسي قد اشتد في امتحان الناس ولزوم إقرار الفقهاء بما يراه، فجعل يرسل لعماله الكتب وكانت تزداد شدة وعنفاً وتوعيداً، وكانت من نتائج هذا الامتحان أن أجاب جميع الفقهاء لذلك ولم يمتنع منهم إلا نفر قليل، منهم أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح وأحمد بن نصر الخزاعي وأبو يعقوب البويطي ونعيم بن حماد وهؤلاء قد ذاقوا حتفهم لامتناعهم عن الإجابة، وبقي الإمام احمد بن حنبل ولم يكن حظه كحظهم من السجن والقتل. ويعلل ابن كثير ـ تعليقاً على موقف الفقهاء المذكور ـ فيقول: إن إجابتهم كانت مصانعة لأنهم ـ العباسيون ـ كانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه، وإن كان له رزق على بيت المال قطع، وإن كان مفتي منع من الإفتاء[3].

---

(١) فضل الله، مرجع سابق ص ٣٦.

(٢) فضل الله، محمد حسين: الإمام جعفر الصادق والتقية، محاضرة قدمت في قاعة الأسد دمشق بمناسبة انعقاد مؤتمر الإمام الصادق الدولي ١٧ ـ ١٩ ربيع الأول ١٤١٣هـ ص: ٣٧.

(٣) فضل الله، مرجع سابق ص ٣٦.

أليست هذه المصانعة لوناً من ألوان التقية؟! وهل يمكن اعتبارها حالة شيعية خاصة أم هي حالة إسلامية عامة تنفتح على حالة عامة تدفع إليها الفطرة الإنسانية في حماية الحياة والموقع والموقف والهدف الكبير ضمن الدائرة الموضوعية الشرعية؟![1].

(١) نقلاً عن فضل الله، مرجع سابق ص ٣٧.



في الجهاد الإسلامي



فلسفة الجهاد عند جعفر الصادق

عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله(ع) قال: قلت له أخبرني عن الدعاء الى الله عز وجل والجهاد في سبيله، أهو لقوم لا يحل إلا لهم، ولا يقوم به إلا من كان منهم أم هو مباح لكل من وحد الله تعالى وآمن برسوله. . فقال: ذلك لقوم لا يحل إلا لهم ولا يقوم بذلك إلا من كان منهم، قلت: ومن اؤلئك؟ قال: من قام بشرائط الله عز وجل في القتال والجهاد. . . قلت: ما هي؟ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة. . .**﴾ قام رجل الى النبي(ص) فقال: يا نبي الله، أرأيت الرجل يأخذ سيفه فيقاتل حتى يقتل أشهيد هو؟ فأنزل الله على رسوله(ص) ﴿**التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون، الراكعون، الساجدون، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين**﴾. فبشر النبي(ص) المجاهدين من المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم بالشهادة والجنة فقال: التائبون من الذنوب، العابدون الذين لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئاً، الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال في الشدة والرخاء، السائحون وهم الصائمون الراكعون الساجدون الذين يواظبون على الصلوات الخمس، الحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها وسجودها وفي الخشوع فيها وفي أوقاتها، الآمرون بالمعروف، بعد ذلك والعاملون به، والناهون عن المنكر والمنتهون عنه، قال: فبشر من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنة. فليتق الله عز وجل عبد ولا يغتر بالأماني التي نهى الله عنها من هذه الأحاديث الكاذبة على الله تعالى التي يكذبها القرآن. . . ولسنا نقول لمن أراد الجهاد وهو على خلاف ما وصفنا لا تجاهدوا ولكن نقول: قد علمناكم ما شرط الله عز وجل على أهل الجهاد الذين بايعهم واشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنان، فليصلح امرء ما علم من نفسه من تقصير عن ذلك، وليعرفها على شرائط الله،

فإن رأى أنه قد وفى بها وتكاملت فيه فإنه ممن أذن الله عز وجل له في الجهاد، فإن أبى أن يكون مجاهداً على ما فيه من الإصرار على المعاصي والمحارم والإقدام على الجهاد بالتخبط والعمى والقدوم على الله عز وجل بالجهل والروايات الكاذبة، فلقد لعمري جاء الأثر فيمن فعل هذا الفعل إن الله عز وجل ينصر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، فليتق الله عز وجل امرء أن يكون منهم[١].

يعج كتاب الجهاد لجامع أحاديث الشيعة[٢] بعشرات الأحاديث عن الصادق(ع) تحكي رؤيته الفلسفية الدينية للجهاد والسلم والحرب كما تحكي نظريته للحرب والمتحاربين والقوانين أو التعاليم الشرعية التي يجب اتباعها وهذا ما يعكس الموسوعة الفقهية العلمية لهذا الإمام التي شملت الصراع الدامي ومختلف حالاته سواء كان ذلك بين المسلمين أو بينهم وبين غيرهم: أهل ذمة، كفار، معتدين، الخ . . .

لا لتشويه المعتقد الديني بالمهدي أو المهدية:

لقد سفكت دماء كثيرة وهتكت أعراض عديدة وانتهكت محرمات لا تحصى في عهد الصادق وقبله وبعده بقليل وتم كل ذلك باسم الجهاد والانتصار لأهل البيت(ع) والانتقام من المعتدين في السلطة المركزية، كما تم ذلك ايضاً باسم المهدية التي تقمصها العديدون[٣] لأهواء وأغراض سياسية لا علاقة لها بالدين أو التدين في الإسلام فقام الصادق(ع) يوجه ويرشد الأمة من مخاطر

---

(١) جامع أحاديث الشيعة مرجع سابق، باب الجهاد ص:٦٣.

(٢) الكتاب أُلف تحت إشراف آية الله آغا حسين الطباطبائي البروجردي، منشورات مدينة العلم، آية الله العظمى الخوئي إيران، قم.

(٣) المحقق جعفر مرتضى العاملي ذكر أن حوالي عشرين شخصاً أو أكثر تقمصوا هذا الاسم وهذا الدور في عهد الصادق(ع) وقبله وبعده بقليل، تلفزيون المنار، بيروت: لقاء خاص في ذكرى ولادة الإمام المهدي(عج) شعبان ١٤١٦هـ.وذكر أنها ـ المهدية ـ نسبت الى الصادق(ع) وقد قاومها وفندها وحارب كل دعاوي التطرف والغلو في الإسلام.

الظاهرة المذكورة لأنها كانت تحكي الجهل والتخلف وتزوير الأحاديث والآيات القرآنية وكانت بذلك تأخذ المصطلح والمفهوم الديني للمهدي والمهدية بعيداً عن حكمة الله سبحانه في خلقه عبر تزييف معناه وتشويه صورته في الفكر والروح والعقيدة الإسلامية.

لقد فوتت الثورات المذكورة الفرصة على الصادق لتعميق مشروعه الاستراتيجي في البناء والتنمية الفكرية والسياسية والثقافية التي أراد أن يؤسس من خلالها لمجتمع مثقف وواع ومسؤول عن كل خطوة أو حركة يأتيها كما أفسدت رأى كثير من اتباعه وأنصاره الذين استهوتهم الرايات السود التي رفعت هنا وهناك وانساقوا وراءها عن جهل لا علم وعن حب أعمى أو عاطفة صماء انتهت بهم الى التهلكة والانكسار.

الحركة الإسلامية والعمل المسلح: الموقف الصادقي

إن ما لم يقله الصادق مباشرة في حديثه المذكور هو أهم وأخطر مما ورد في مادة الحديث، وخاصة على مستوى العمل أو الحركة الإسلامية في جهادها ضد فساد الواقع كما هو الحال اليوم.

لقد قال الصادق لهؤلاء ومنذ القرن الأول للهجرة ـ الثامن الميلادي ـ إن العمل المسلح ضد السلطة المركزية وإن أدى الى انتصارات محدودة فإنه لا يستطيع الحفاظ عليها، كما نبههم الى أنه طريق مسدود على مستوى المواجهة في حركة الصراع وأن الذين يأتون هذه الأعمال تنقصهم الدراية والفكر والتخطيط والتنظيم والعمل. إن صدق النية لا يستتبع بالضرورة صدق العمل. فالعمل الصادق أو المخلص هو الذي يعي حيثيات الواقع والظروف الذاتية والموضوعية حقها وحجمها ويتعاطى معها على هذا الأساس من أجل ضمان خطوات إيجابية الى الإمام في خط الصراع العام.

إن المسألة أقرب ما تكون الى العبادات والأعمال التي نأتيها.فإخلاص النية في أي عبادة لا يشفع في شيء نقصان ركن من بقية أركانها ومن ثم

بطلانها. ويكاد لا يشك مؤمنين اثنين في النوايا الصادقة لهؤلاء المجاهدين الذين يحملون السلاح في مصر أو الجزائر مثلاً ولكن هل أن أعمالهم تلك صادقة أي تصادق الواقع المحلي أو الاقليمي أو الدولي وتصادق الظروف الذاتية والموضوعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمسلمين هنا أو هناك؟!...

إن هذا لا يعني انتقاصاً لتضحيات هؤلاء، فمنذ أكثر من نصف قرن على مولد الدولة القومية المعاصرة والحركة الإسلامية تواجهها بطريقة هنا وأخرى هناك قبل أن يستقر بعضها على المواجهة المسلحة في أكثر من بلد مسلم.

إن الباحث يستدعي الصادق(ع) ليحكم الطريقة ويحاكم المنهج والخط المسلح الذي تبناه بعض المؤمنين هنا وهناك ويسألهم عمّا إذا حققت حركتهم المذكورة سلبيات أكثر من إيجابيات أم العكس؟ وعما إذا كانت النتيجة التي توصلوا اليها تحكي قطرة دم شهيد واحد من آلاف الشهداء الذين سقطوا؟ أم أنه الإقدام على الجهاد بالتخبط والعمى «كما ورد حرفياً في نص حديث الإمام»..

البعد الزمني للعمل الإسلامي في حركة الصادق:

لم تكن القضية بالنسبة للصادق من الذي يملك السلطة والقرار في عهده بل من سيملكها في المستقبل! هكذا يمكن فهم حركته الاستراتيجية في المواجهة كما هي اليوم كذلك...

وبعد أليس من الملفت للانتباه أن الأنظمة المحلية والاقليمية والدولية تحارب الإسلام والمسلمين حتى لا يحكموا في المستقبل في حين نحاربهم نحن حتى نحكم اليوم؟!...

أين هو البعد الزمني في حركة الصراع للحركة الإسلامية أم إنها تعمل خارجه في أكثر من مكان في العالم؟!...[1] إن الحركة الإسلامية المعاصرة

(١) ربما تشكل الحركة الصهيونية ظاهرة ملفتة حقاً وجديرة بالاهتمام والتحليل خاصة على مستوى توظيف عنصر الزمن في التخطيط والعمل والحركة. فلدى انعقاد أول مؤتمر في =

مدعوة لمراجعة تفكيرها وآليات عملها ولعل المنهج الجعفري يشكل معيناً إسلامياً لا غنى عنه للعاملين في خط الدعوة وكأنه ينادي عبر حديثه: اتركوا الدعوة لله وللرسول تتحرك في الآفاق كما تحركت وتتحرك هذه الأيام في أوروبا وفي امريكا وفي استراليا وفي افريقيا وفي آسيا... لا تثيروها بعواطفكم السلبية أو بأهوائكم السياسية. تحركوا في البعد الزمني للصراع، وسافروا مع الزمن، اسبقوه خططوا استراتيجياً لحركتكم ولعملكم... لا للفوضى، لا للارتجال، نعم للتخطيط والتنظيم...

إن الصادق ما زال حياً فينا، يوجه نداءه من مطلع القرن الثاني للهجرة الى مطلع القرن الواحد والعشرين: لا تنعقوا وراء كل ناعق، لا ترتبطوا بالأشخاص إلا بقدر ارتباطهم بالخط الإسلامي وبالحركة الإسلامية وبالمنهج الرباني في الدعوة والجهاد والتضحية.

هكذا كان يقرأ الحركات والثورات التي قامت في عهده. كانت منحرفة وكان أصحابها منحرفين فكرياً الى درجة أنهم تحولوا الى أصنام تعبد من دون الله. كان يرد على كل الشعارات التي انطلقت من حوله: كل راية ترفع قبل قيام القائم(ع) فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله[1].

إذن لم يكن الصادق(ع) يثبط العزائم أو يدعو الناس للسكون أو المهادنة ويمنعهم عن الثورة بل كان يحذرهم من الذين ركبوا موجة الجهاد بغير علم أو الهداية بغير رشد. هؤلاء الذين سرعان ما تحولوا بين عشية وضحاها الى زعماء ومجاهدين وثوار باسم الهداية. هؤلاء الذين فتنوا العوام وأحدثوا فيهم من

= بال (سويسرا) ١٨٩٦ وضعت خطة لتأسيس دولة يهودية خلال ٥٠ سنة وجاء التأخير بسنين فقط على إعلانها في فلسطين ١٩٤٨. أما أهم وأعظم حركة زمنية قامت بها الدولة الصهيونية في تاريخها كله فهو توقيت دخولها الى مؤتمر مدريد، تلك الحركة التي أربكت العالم محلياً وإقليمياً ودولياً كما اربكت حركة الإسلام والإسلاميين. فإلى متى يسبق الزمن الاسرائيلي الزمن العربي والإسلامي؟ وأين نحن من العاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحاً؟!...

(١) جامع أحاديث الشيعة: باب حكم الخروج قبل قيام القائم، مرجع سابق ص ٦٦.

الاضطراب والفوضى أكثر مما أحدثوه من الاستقرار والأمن والسلامة في التفكير والعقيدة والمنطق والأدب والسلوك.

إن الصادق يقول لهؤلاء الحركيين كما قال لأولئك: إن المنطق العلمي والمنطق الفكري الفقهي الإسلامي يقول لي بأن حركتكم ليست حركة مهدية، وأنتم لستم بمهديين لأنكم تتخبطون بلا هدى أو يقين، إنكم واهمون لأن المهدي سيظهر في آخر الزمان ونحن بعد في بداياته. إن المهدي سيظهر في نهاية الصراع والصراع لا ينتهي! إن المهدي سيظهر كتتويج لكل أعمال الأنبياء والرسل والأئمة والشهداء! عندها يستخلف الله الذين آمنوا ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وتلك الأرض لله يورثها من يشاء من عبادة الصالحين• صدق الله العظيم.

من يحاسب من؟ سؤال صادق:

لقد نجحت الحركة الإسلامية المعاصرة في تسيير الملايين في الشوارع وتجييش مشاعرها في مختلف عواصم العالم العربي ولكنها فشلت في إيصالها الى الأهداف العظيمة التي تحملها، ولعل الصادق أول من نبّه الى مخاطر هذا التأطير الذي يقوم على العاطفة لا العقل؛ فعندما ظهرت الرايات السود في خراسان[١] أشار الى أتباعه وأنصاره أن اجلسوا في بيوتكم، فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح[٢] تماماً كما أشار الإمام علي(ع): أن الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم، فإن من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وحق أهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت النيّة مقام أصلاته لسيفه فإن لكل شيء مدة وأجلاً[٣].

---

(١) إشارة الى ثورة مسلم الخراساني.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: مرجع سابق ص ٧٤.

(٣) جامع أحاديث الشيعة: مرجع سابق ص ٧٤.

في التأسيس للوحدة الإسلامية



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مدخل فقهي مقارن بين المذهب الجعفري والمذاهب الأربعة:

ما زالت العلاقة بين المذهب الجعفري وبقية المذاهب الإسلامية لم تأخذ حظها من الدراسات العلمية الضرورية لوعي أكثر من حقيقة تاريخية عمل الكثيرون من القدامى والمحدثين لطمسها وتشويه معالمها مما أدى الى طمس وتشويه شطر لا بأس به من العقل التاريخي الإسلامي للفرد وللمجتمع.

تتلمذ أبو حنيفة[١] سنتان على يدي جعفر بن محمد الصادق كما أخذ مالك بن أنس[٢] عنه، وإذا علمنا أن الشافعي[٣] من تلامذة مالك وأصحاب أبي حنيفة، وأن ابن حنبل[٤] هو تلميذ الشافعي. تأكد بما لا شك فيه العلاقة القريبة أو البعيدة لأئمة أهل السنة بجعفر الصادق(ع).

إن هذا لا يعني ابداً أن الصادق أثر في توجههم الفكري أو الفقهي بدرجة كبيرة لأنهم نهجوا في مذاهبهم طرقاً مختلفة عنه في استنباط الأحكام الشرعية، فبالإضافة الى القرآن والسنة التي يعتمدها الجميع كأساس، اعتمد أبو حنيفة الرأي والقياس والاستحسان والعرف، وأضاف مالك قول الصحابة والإجماع والمصالح المرسلة وسد الذرائع، أما الشافعي الذي رد على مالك وأبي حنيفة والأوزاعي وأبطل الاستحسان فقد كان يجمع بين الرأي والحديث. «المدرستين»[٥] بتفاوت هنا وهناك. في حين قبّح ابن حنبل الاستحسان واستبعد القياس إلا للضرورة وتفرد باعتماد قول واحد من الصحابة.

إن هذا المدخل الفقهي الأصولي المقارن ضرورة علمية لفهم آلية اشتغال

---

(١) أبو حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠هـ) صاحب المذهب الحنفي.

(٢) مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩هـ) صاحب المذهب المالكي.

(٣) الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ) صاحب المذهب الشافعي.

(٤) ابن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) صاحب المذهب الحنبلي.

(٥) مدرسة الحديث بالمدينة ومدرسة الرأي بالكوفة.

العقل الإسلامي ككل[١] في تاريخية تشكله الفقهية وهو ايضاً ضرورة عملية باتجاه أية مقاربة أو مقارنة فقهية أصولية باتجاه الوحدة الإسلامية ولعلها دعوة لأهل الاختصاص باتجاه ذلك.

في الذهنية العلمية المنفتحة لأصحاب المذاهب الخمسة

إن المهم في هذا الموضوع ليس شهادة أبا حنيفة[٢] أو مالك[٣] أو ابن حنبل للصادق بعلمه وتقواه وورعه التي لا جديد فيها إذا علمنا أن الكثيرين من قبلهم وبعدهم شهدوا له ولأهل بيت رسول الله بذلك وأكثر. كما أن مناظرات الصادق لأبي حنيفة عن الرأي والقياس وغير ذلك أو مناظرتهما في بلاط المنصور تتجاوز المنهج التبجيلي الى حقائق علمية لعل أهمها:

ـ المناخ العلمي والفكري الذي كان يجمع الصادق بأبي حنيفة أو الفضاء المعرفي الذي كان يستظل تحته أصحاب المذاهب آنذاك والذي سيفتقده خلفهم من بعدهم الى يومنا هذا.

ـ الخطاب العلمي والخطاب العلمي المضاد في المواجهة الفكرية من أجل الوصول الى الحقيقة لا الخطاب التآمري أو الخطاب التآمري المضاد له ولا الخطاب المتمركز حول ذاته أو الخطاب المتمركز عكسياً ولا الخطاب الإقصائي الذي يدعي لنفسه الحقيقة دون غيرها بل خطابات الحكمة والمعرفة والتقوى والإيمان بالله كما قال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق، لما أقدمه المنصور، بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيء له من المسائل الشداد، فهيأت له أربعين مسألة،

(١) ما زال العقل الإسلامي يقرأ جزئياً لا كلياً او انشطارياً بحكم انشطار المسلمين الى مذهبين سنة وشيعة منذ الفجر الأول للتاريخ الإسلامي.

(٢) مما قاله أبو حنيفة: لولا السنتان لهلك النعمان. في إشارة الى سنتين درسهما عن جعفر الصادق.

(٣) مما قاله الإمام مالك عن الصادق(ع): اختلفت زماناً الى الصادق فلم أره إلا صائماً او قائماً او يقرأ القرآن.

فجعلت اسأل فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة ما أخل منها بمسألة ثم قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس[١].

ـ إن المناظرات التي جرت بين الصادق(ع) وأبي حنيفة وإن كانت مدعاة تفوق لمذهب دون الآخر فإنها مدعاة فخر واعتزاز للإسلام والمسلمين ككل وذلك للذهنية العلمية التي كان يتحلى بها رواد الأئمة السنة والشيعة على حد سواء، وهي كذلك مدعاة ألم نفسي وقلق فكري وروحي لغياب العقل العلمي المنفتح والمحاور الذي توقف برحيلهم.

إنه لمن دواعي الأسى والحسرة أن تتوقف لغة الحوار هذه منذ النصف الأول للقرن الثاني للهجرة ويستعاض عنها بلغة التهجم بعيداً عن العلم أو المعرفة[٢].

ما هي أسباب تعطل اللغة العلمية بين شطري العقل الإسلامي الواحد؟ هل هي ذاتية؟ أم موضوعية؟ أم مشتركة؟ وهل من سبيل الى الخروج من صمت ما زال ينيخ بكلكله منذ قرون على الأرواح والأجساد والأفئدة ويحول دون انفتاحها على كلمة الله العليا.

لقد ألجأ الصادق السلطة السياسية لمعارضته فكرياً عندما اضطرها للاستنجاد بأبي حنيفة لمواجهته ويكون بذلك قد فرض نمطاً جديداً من المواجهة بين السلطة وخصومها والارتفاع بها من مستوى العنف والإرهاب

---

(١) حيدر، أسد: الإمام الصادق والمذاهب الاربعة ج١ ص٥٠.

(٢) من الخطابات اللاعلمية واللاأخلاقية واللاشرعية قول ابن تيمية: الشيعة لا يعرجون لا إلى القرآن ولا الى السنة، بل على قول من ظنوه معصوماً، وانتهى بهم الأمر الى الإئتمام بإمام معدوم لا حقيقة له، فكانوا أضل من الخوارج، ولهذا كانوا أكذب الطوائف، وحديثهم من أكذب الحديث، والشيعة استتبعوا أعداء الملة من الملاحدة. راجع كتاب الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية، تحقيق حسين يوسف غزال، دار إحياء العلوم، ط١، بيروت ١٩٨٣ ص٣٣٧. نفس الخطاب يجدده اليوم بلغة معاصرة بعض رواد الحركات الإسلامية في شمال افريقيا.

والبطش الى حالة السلم والنظام وقوة المنطق والحجة.

في وحدة الموقف السياسي:

إن الباحث الأمين ليحيي كل الفقهاء والأئمة الذين عاصروا الصادق واحتفظوا بمسافة معينة بينهم وبين حكام عصرهم.

فهذا أبو حنيفة يرفض تولي أكثر من منصب للقضاء عرض عليه، ويجلد سياطاً لرفضه بل ويدعم زيداً الثائر بـ(١٠ آلاف درهم)[1] ويفضل السجن حتى الوفاة عن محاباة المنصور.

أما مالكاً فإن فتواه «ليس على مستكره يمين» قرأتها السلطة كفتوى سياسية للتمرد عليها لأنها تزامنت مع حركة محمد ذي النفس الزكية وقد عذب لذلك حتى انخلعت كتفه وإن استرضاه المنصور بعد ذلك. وهذا الشافعي يفتي من السجن بعدم شرعية الخلافة العباسية ويصيبه بلاء لذلك.

أما ابن حنبل فقد رفض تولي القضاء لدى الأمين وقاوم المأمون الذي سجنه ٢٨ شهراً.

وهذا الليث ابن سعد مجتهد مصر يرد على الرشيد ٥٠٠ درهم وهذا سفيان الثوري الذي ما كاد يفلت من براثن المهدي حتى رمى عهد الملك إليـــه بقضاء الكوفة الى أسماك دجلة وهاجر ـ فر ـ الى المدينة.

أما عبد الرحمن الأوزاعي فقد حمل كفنه معه عندما استدعاه والي دمشق العباسي ليأخذ موافقته على استحلال مال الأمويين، ولما سئل ماذا تقول في أموال بني أمية هل هي حلال أم حرام؟ أجاب بعد إطراق: إن هذه الأموال لها ناحيتين: الأولى إن كانت في أيديهم حلالاً فهي قطعاً حرام عليكم، لأنها اغتصاب، والثانية إن كانت حراماً فهي حرام عليكم، لأن إرجاعها الى ذويها واجب شرعي. فأمره بالخروج، فخرج وهو يتلمس أنفه أيزال في مكانه أم

(١) ابن الأثير: أخبار أعوام ١٣٣ و١٣٥ و١٣٠ ج٥ والكشاف للزمخشري ١/ ٦٤.

سقط على الأرض[1]. إن المواقف المستعرضة سلفاً لأئمة أهل السنة والجماعة مهمة جداً من أجل الوقوف على حقيقة تاريخية مفادها أن هؤلاء جميعاً كانوا متماهين سياسياً في مواقفهم من السلطة الحاكمة مع موقف الصادق(ع) رغم الاختلافات المذهبية بينهم وبينه وهذا دليل تأثرهم جميعاً بخط الإمامة ككل أو دليل مبكر لوجود فصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية في فكر هؤلاء ومرة أخرى وأمام هذا التناغم ووحدة الكلمة والموقف بين أئمة المدرستين السنية والشيعية ينتصر السلف على الخلف كل الخلف من بعده الى يومنا هذا! فهل من قراءة لأئمة العصر الحالي في مرآة الأئمة المؤسسين؟

في استفراد الأنظمة الحاكمة ببعض المذاهب الإسلامية:

بعد وفاة الصادق سينفرط عقد الموقف السياسي الواحد وسيبدأ ترسيم المذاهب السنية وسيكون المذهب المالكي أول عقيدة ايديولوجية رسمية للدولة الحاكمة، سينادي مناد في المدينة «ألاّ يفتي إلا مالك او ابن أبي ذئب»[2].

سيحاول مالك التنصل من المسؤولية.. سيعتذر من المنصور، لكن سيسقط بتقديم الموطأ «كدين رسمي» للدولة دون سواه فبعد محنته الجسدية[3] استرضاه المنصور والتقى به في الحج وطلب منه تدوين كتاب يحمل عليه الخاصة والعامة وقد اعتذر أولاً بالقول: يا أمير المؤمنين لا تفعل. أما هذا الصقع فقد كفيتكه، وأما الشام ففيه الرجل الذي علمته ـ يقصد الأوزاعي ـ وأما

(١) فكري، علي: أحسن القصص، دار الكتب المصرية، مطبعة البابي الحلبي ١٩٢٣، ص ٤ـ١٩٩، عن كتاب الإسلام بين السنة والشيعة، تحت عنوان وقولوا للناس حسناً ـ دار الانصاف ط١، ١٩٥١ مؤلفاه هاشم المدني ومحمد علي الزعبي مدرسين في كلية فاروق الأول الشرعية في بيروت آنذاك.

(٢) الوفيات ٣/ ٢٨٤.

(٣) مرجع سابق ٣/ ٢٨٤.

أهل العراق فهم أهل العراق[١] ولكن مالك سيجلس في نهاية المطاف للافتاء وسيجد معارضة وسيرد عليها بالقول: ما جلست للافتاء إلا بعد أن شهد لي سبعون شيخاً بأني أهل لذلك[٢]؟!. . .

لا شك أن المنصور ومن كان بعده في السلطة السياسية أبدوا دهاء أو مكراً في احتواء الموقف بعد الصادق ولا شك بأن السلطة الحاكمة لها الحق الأول والأخير في اختيار المذهب الذي ترتأيه كعقيدة أو كأيديولوجية لها وهذا ما يحفظ لمالك حداً أدنى من المصداقية إذا قلنا أنه لم يتزلف السلطة بل هي التي تزلفته وأوقعته في شراكها!. . . هكذا يخلص البحث الى حقيقة تاريخية فقهية سياسية مفادها أن الصادق كان عصب المذاهب الإسلامية السنية التي انفرط عقدها من بعده حيث سيعمد كل حاكم فيما بعد الى ترسيم المذهب الذي يراه وسيكون أول إجراء يقوم به عند توليه السلطة هو تطهير البلاط اولاً والساحة ثانية من رجس ودنس المذهب الذي لا يعتقده وتقريب وتولية معتنقي مذهبه وفرضه على الخاصة والعامة وهكذا سيصبح أهل السنة والجماعة على دين ملوكهم وسينتقلون بين مذاهب عدة من عهد الى آخر.

نموذج: تاريخ الفقه السياسي في شمال افريقيا قديماً وحديثاً

إن مراجعة التاريخ الفقهي السياسي لشمال افريقيا مثلاً يؤكد هشاشة البنية الفكرية والفقهية للمذاهب الإسلامية التي مرت من هناك حيث لم يتيسر لها أبداً الوقت الكافي لبناء هرمها الفقهي أمام الحروب الدائمة والاستيلاء الدائم على السلطة بالغلبة والقهر كتصفية أتباع المذهب الفاطمي عن آخرهم في القيروان والمهدية بتونس، واستبداله بمذهب السلطة القهرية آنذاك[٣].

---

(١) مرجع سابق. الوفيات ٣/ ٢٨٤.

(٢) الحقيقة أن روايات عديدة وردت في تقبل مالك وتلامذته لأموال من بعض الخلفاء في عصره ولكن اتجاهنا في البحث يتجاوز اتهام الإمام مالك بجرم لم يفعله الى حقيقة تاريخية تتعلق بعلاقة الدين بالدولة في المذهب السني حتى يومنا هذا.

(٣) بيل ألفرهد: تاريخ الفرق الإسلامية في شمال افريقيا، ترجمة عبد الرحمن بدوي ـ دار =

هذه الحقيقة التاريخية والأنتروبولوجية ستستمر حتى يومنا هذا وستهتز البنية الفقهية الهشة أساساً مع الدولة القومية المعاصرة في المغرب العربي أمام تيار التحديث الغربي وعلمنة الدين والدولة والمجتمع.

في تكامل النظرية الفقهية السياسية بين فقهاء المذاهب

أخيراً تجدر الإشارة الى التكامل الفقهي السياسي لنظرية الحكم والإدارة في الإسلام بين فقهاء السنة والشيعة في عهد الصادق.

فأبو حنيفة كان يرى أن الخلافة الإسلامية الصحيحة انتهت بمقتل علي(ع) وهذا يعني سلب الشرعية عن الحكم الأموي، أما عن يوم الجمل فيذكر أن علياً سار فيها بالعدل، وأنه أعلم المسلمين في قتل أهل البغي، أما عن الزبير وطلحة فيرى أن علياً قاتلهما بعد أن بايعاه وخالفاه[1]. يذكر أن أبا حنيفة أيد مطلقاً الإمام علي(ع) في جميع حروبه بالقول: «ما قاتل أحد علياً إلا وعلي أولى بالحق منه»[2].

أما مالك ولدى سؤاله عن أعلم الناس بعد رسول الله(ص) فقد أجاب: أبو بكر، ثم من؟ قال: عمر، ثم من؟ قال عثمان، ثم من؟ قال: هنا وقف الناس! . . .

هل وقف مالك كما وقف الناس؟ أم أنه توقف عن الإجابة حتى لا يتعرض لمحنة أخرى؟ وهل يعني هذا أن نفسيته تعرضت هي الاخرى لمحنة جعلته لا يتجرأ على قول الحقيقة؟ إن الأمانة العلمية تستدعي الباحث للجزم بأن صمته هو دليل إيجابي وليس سلبي ولعل ما يدعم هذا الاتجاه هو موقفه الإيجابي تجاه أبناء علي الثائرين آنذاك[3].

= الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨٧.

(١) المناقب للمكي ٣/ ٨٣ ـ ٨٩.

(٢) مصدر سابق ٣/ ٨٣.

(٣) حيث دعى الى الالتحاق بصفوف حركتهم كما أيدهم ضمنياً في الثورة ضد الظلم.

الشافعي سوف يتهم بالتشيع في اليمن مع تسعة من العلويين سيعدمون جميعاً إلا أنه سيعلن في ردة فعل عقائدية: إذا كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي. أما ابن حنبل الذي تراجع اولاً ليقول بوقوف قوم عند علي وآخرين عند عثمان فإنه عاد أخيراً ليعترف بإمامتهم جميعاً وخلافتهم الراشدة وليعلن على الملأ:

يـــا آل بيـــت محمـــد حبكـــم ... فـرض مـن الله فـي الكتـاب أنـزلـه

كفـاكـم مـن عظيـم الفخـر أنكـم ... مـن لـم يصـل عليكـم لا صـلاة لـه

إن ما سبق ذكره لا قيمة علمية له من حيث المنهج التبجيلي الذي لا يتوخاه الباحث ولا يؤمن به لأنه يغذي العاطفة لا العقل فضلاً عن كونه منهجاً تجاوزته القراءات العلمية والفكرية السياسية المعاصرة في الاستعراض والنقد والتحليل والاستنتاج. إن الهدف من وراء ذلك التأكيد على الحقيقة التاريخية الدائمة التي تؤكد تقوى وورع واستقامة أعلام السنة والجماعة المؤسسين وتـدعم مواقفهم المشرفة والصادقة والأمينة والعلمية فيما تؤكد أمانتهم الشرعية والدينية قبل ذلك وبعده.

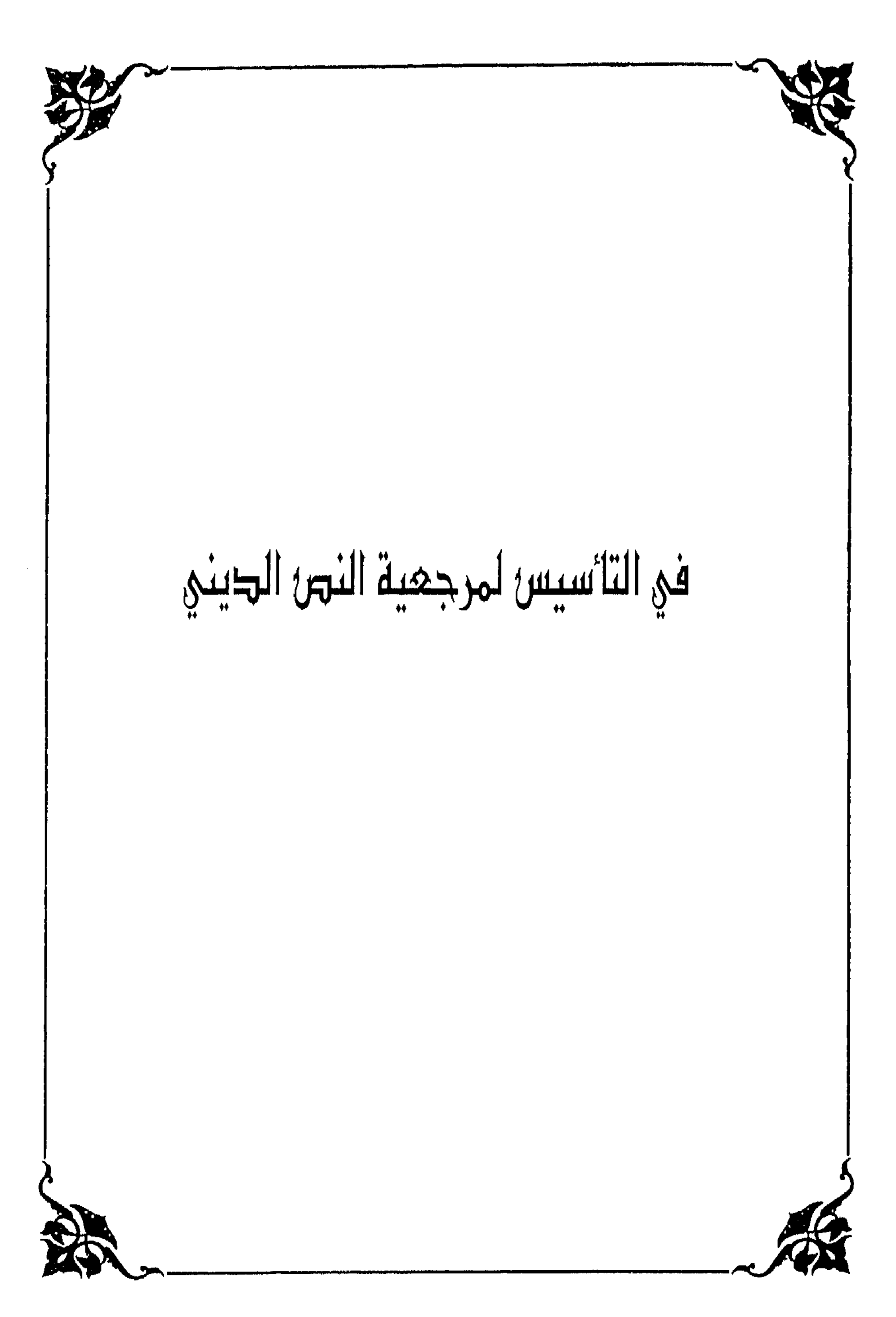
بين السلف والخلف: من يسبق من؟

إن المسلم المعاصر ما زال يجد تناقضات كثيرة وكبيرة على صعيد التفكير والممارسة والسلوك والأدب بين السلف والخلف الى درجة أنه يشك فيما إذا كان الأخير هو الامتداد الفعلي للأول؟ كيف انقلبت النظرة الإيجابية لجيل التأسيس للمذاهب السنية تجاه أهل البيت الى نظرة سلبية مع الأجيال اللاحقة؟ ما هي العوامل التاريخية والنفس تاريخية والاجتماعية والنفس اجتماعية لذلك؟ وما هي العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية المؤثرة في ذلك؟ كيف تحركت المسألة إيجابياً مع الصادق وأئمة السنة والجماعة مع بعضهم البعض لترتد سلبياً على أتباعهم؟ كيف تطورت النظرة والنظرة المضادة سلباً وإيجابـاً وفـي مختلـف مـراحـل التـاريـخ؟ مـا هـي طبيعـة النطفـة

البسيكولوجية والإيديوبسيكولوجية التي زرعت في رحم هذا الجسد المسلم؟ كيف انعقدت وتعقدت وأصبحت عقدة؟ من نفخ فيها من روحه. أهو الله أم الشيطان؟!... الى غيرها من الأسئلة التي ما زالت تبحث عن إجابات ملحة كخطوة ضرورية باتجاه الوحدة الإسلامية.

إن إحدى الثورات العلمية المعاصرة في مناهج البحث هو القدرة الهائلة للعقل المعاصر ولأدواته على كشف الحقائق والأباطيل والدعاوي المزيفة والمغالطات حيث بات من المستحيل إبقاء أي أثر لأية غشاوة على العين. فالتراث القومي لمختلف الشعوب والأمم وكذلك التراث الإنساني للتاريخ البشري والحضارات بات موضع تشريح جديد ومتجدد. ولعل تراثنا الإسلامي كتراث إنساني لا يخلو من سلبيات لا بد من تجاوزها وإيجابيات مدعوون للالتقاء حولها إنصافاً للحقيقة وللذات وللآخر.





في التأسيس لمرجعية النص الديني

في التأسيس أو التأصيل لمرجعية النص الديني

الصادق والقرآن:

روى جعفر بن محمد الصادق عن جده رسول الله(ص) قال: قال رسول الله(ص): «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار، وهو الدليل، يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصباح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فاليجل جال بصره، وليتبع الصفة نظره، ينجو من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص»[١].

لكل أمة كتاب، صحيفة، نص، دستور مرجع تعود اليه. ولما كنا في زمن تزاحم الكتب والنصوص والدساتير والمراجع فإن تموضع النصوص الدينية الإسلامية بات ضرورة بمواجهة النصوص العلمانية اللادينية. كيف السبيل الى مقابلة أو مقارنة أو مقارعة النصوص اللادينية واللاشرعية بالنصوص الدينية الشرعية؟ ما هي حدود التناص بين الديني والدنيوي؟ بين الشرعي والوضعي؟ بين الناسوت واللاهوت؟ بين العقل والوحي؟ بين الطبيعة وما وراء الطبيعة؟ وغيرها من الأسئلة المطروحة بإلحاح في واقعنا المعاصر... أين عقل القرآن من ذلك كله؟ وما هو قرآن العقل الإسلامي قديماً وحديثاً؟ وما هي

(١) الكليني: الأصول في الكافي ج٣/ كتاب فضل القرآن ص ٥٩٨، ط٣.

حدود الشراكة بينه وبين مختلف العقول الأخرى الدينية والوضعية؟ ما هي حدود الاختلاف بينها؟ . . .

في الدعوة للدراسات القرآنية:

عندما توجه الصادق بنداء عليكم بالقرآن كان يدرك أهمية وخطورة النصوص اللاقرآنية التي انفتح عليها المسلمون الفاتحون لأمصار جديدة والمنفتحون على ثقافات جديدة تماماً كما هو حالنا اليوم والانفتاح المحموم الذي نعيشه على النصوص اللاقرآنية للثقافة العالمية المعاصرة كان هدف الصادق تأسيس عقل إسلامي يعتمد القرآن وعاش يوجه الفكر والعقل والروح والفؤاد والنظر باتجاهه ليعلمه الذين يستنبطون منه وليتدبروه وليتفقهوه.

إن الباحث يتساءل عن ماهية العلوم القرآنية التي توصل اليها المسلمون قديماً وحديثاً؟ عن الصادقية في تفسير القرآن واعتماده كمرجع أساس لمدرسته وفي مدرسته؟ لقد وردت عن الصادق أحاديث عديدة بشأن القرآن وفضله منها «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة»[١] القرآن عهد الله الى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه كل يوم خمسين آية[٢]. ثلاث يشكون الى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه[٣].

إن ما لم يقله الصادق مباشرة أهم وأخطر مما أشار اليه! فهجران القرآن واتخاذه زينة على الرفوف وعلى جدران البيوت هو المشهد المتكرر دائماً وكأن التاريخ يعيد نفسه ويستدعي معه الصادق ليشهد شكوى الرسول(ص): «يا ربي إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً»[٤]. وبين هجر القرآن في عهده وهجره في

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، باب فضل القرآن، حديث للإمام الصادق(ع).
(٢) حديث للإمام الصادق(ع) نفس المصدر السابق.
(٣) حديث للإمام الصادق(ع) نفس المصدر السابق.
(٤) القرآن الكريم. سورة الفرقان الآية ٣٠.

هذه الأيام يبقى صدى الدعوة للهجرة اليه، باتجاهه، نحوه، فيه وحوله ومعه.

حاول الصادق إرساء معالم ثقافية قرآنية عالمة داخل مدرسته كما اهتم بإرساء معالم ثقافية قرآنية عامة وشعبية خارجها عبر تطعيم المجتمع المضطرب آنذاك بالأدب القرآني وذلك هو الأدب الجعفري «إن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل هذا جعفري، ويسرني ذلك، ويدخل علي منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر! وإذا كان غير ذلك، دخل علي بلاؤه وعاره وقيل: هذا أدب جعفر! فوالله لحدثني أبي أن الرجل يكون في القبيلة من شيعة علي(ع) فيكون زينها: أداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث[1]. لقد أصبحت كلمة أدب مجردة من كل محتوى علمي يؤسس وينظر لها ولكل ما تعلق بها من تفكير وسلوك نظري أو عملي ولعل الصادق هو أحد أبرز الرياديين الذين عملوا على تطعيم المجتمع الإسلامي بالأدب القرآني.

ما هي الأسس العلمية التي اعتمدها، أو ما هي معالم المدرسة القرآنية للصادق؟ تلك التي استطاع خلالها أن يؤسس لجيل إسلامي يعد ثورة آنذاك بالنسبة للأجيال التي سبقته أو لحقته! ذلك جيل التأسيس العلمي أو النظري للعقيدة وللفكر الإسلامي في النصف الأول للقرن الثاني للهجرة.

إن افتتاح عصر التدوين الإسلامي باعتماد القرآن كنص أساسي وتأسيسي وكمدونة إلهية كونية بمواجهة النصوص والمدونات الوضعية لموروث الثقافات والحضارات البائدة التي مرت بالمناطق المفتوحة هو الهدف الذي كان الصادق يسعى اليه.

لا شك أن المشروع الذي حمله هذا الإمام ليس مشروع شخص ولا شعب ولا دولة بل هو مشروع أمة بكاملها! ولا شك بأن الأنبياء والأئمة والشهداء حملوا مشاريع دعوات الأرض والسماء وتحركوا بها هنا وهناك عبر

---

(١) حديث للإمام الصادق(ع).

التاريخ والجغرافيا، ولا شك بأن نجاحهم أو فشلهم يبقى رهين الظروف الذاتية والموضوعية الخاصة والعامة المحيطة بحركتهم وعلى هذا الأساس يجب محاكمة مشروع الصادق(ع) الذي كان يهدف اولاً وأساساً الى التقعيد الإسلامي للعقل وللفكر وللروح وللجسد على أساس قرآني.

بين نصوص القرآن الشرعية وقرآن النصوص الوضعية

إنه لمن المؤسف أن تصبح العقول الإسلامية المعاصرة للمسلمين عامة ولبعض الحركات الإسلامية خاصة مقعدة على أسس لاإسلامية ومشوبة بأنماط تفكير وأدب وسلوك خارجة عن الإسلام وعن العقيدة ولعلها مدعوة الى تحويل النصوص القرآنية الى عقول ناطقة وتبنيها نظرياً وعملياً لا تبني النصوص العقلية كقرآن أو كمدونات رسمية ثابتة لا تتغير.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾[١]. ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[٢]. ﴿إنا نحن نزلنا عليك الذكر وإنا له لحافظون﴾[٣]. ﴿قل لأن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[٤]. ﴿قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله﴾[٥]. صدق الله العظيم

(١) القرآن الكريم. سورة البقرة الآية ٢.
(٢) القرآن الكريم. سورة الإسراء الآية ٩.
(٣) القرآن الكريم. سورة الحجر الآية ٩.
(٤) القرآن الكريم. سورة الإسراء الآية ٨٨.
(٥) القرآن الكريم. سورة يونس الآية ٣٨.

في التأسيس أو التأصيل لمرجعية النص الديني

الصادق والحديث

مدخل الى عصر التدوين:

ترجع مصادر السنة والجماعة تدوين الحديث الى عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس عندما بعث الى مختلف الأمصار أن اجمعوا حديث رسول الله(ص). فيما ترجع بعض المصادر الأخرى فضل جمعه الى والده عبد العزيز بن مروان في الربع الأخير من القرن الهجري الأول[١] ثم تنتقل نفس المصادر الى موطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل وصحيحي البخاري[٢] ومسلم[٣] وسنن النسائي[٤] وابن داود[٥] والترمذي[٦] وابن ماجه[٧] وهي أمهات كتب الحديث عندهم بالإضافة الى الطبراني والدارقطني وابن حبان وابن حزم والطحاوي والنيسابوري وغيرها.

أما الشيعة فيرجعون تدوين الحديث الى صحيفة الإمام علي(ع) التي أملاها عليه رسول الله(ص) والى أبناءه من بعده إماماً عن إمام وقد دونت

---

(١) العالم علي البهنساوي: السنة المفترى عليها، دار البحوث العلمية الكويت ط٢، ١٩٨١ ص: ٦٠ـ٦١ـ٦٢.

(٢) البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ).

(٣) مسلم (٢٠٤ ـ ٢٦١هـ).

(٤) النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٢هـ).

(٥) ابن داود (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ).

(٦) الترمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ).

(٧) ابن ماجه (٢٠٧ ـ ٢٧٣هـ).

الأحاديث المذكورة في أمهات أربع هي: الكافي[١] ومن لا يحضره الفقيه[٢] والتهذيب[٣] والاستبصار[٤] ثم تبعها فيما بعد بحار الأنوار[٥] والوافي[٦] ووسائل الشيعة[٧].

مرة أخرى يقف الباحث على قراءة مبتورة أو مجزأة للواقع التاريخي. إنها القراءات القديمة الحديثة التي لم تحاول ولم تتجرأ على تجاوز المنطق الإقصائي للآخر. إن قراءة موروثنا الثقافي ككل لن يستقيم بوجهة نظر واحدة سنية كانت أم شيعية. إن قضية التراث والحضارة والتقاليد ليس لها أي قيمة إذا اصطدمت مع قضية الحق[٨]. إن منهج: اعرف الحق تعرف أهله[٩] لا العكس هو الأحق بالاتباع إذا كان هناك من إخلاص في النية وصدق في العمل باتجاه وحدة الصف والكلمة ولعل مراجعة العقل التاريخي الإسلامي تشكل إحدى الخطوات باتجاه ذلك.

الصادق وحركة التدوين:

إن الموروث الثقافي لتراثنا ولتاريخنا ولحضارتنا ليس فيه من صحيح على وجه القطع بقدر ما فيه من صحيح على «شروط» أهل «العلم»! ما هي تلك الشروط؟ وماذا يقصد بالأهلية العلمية لأصحابها؟ وهل هي قابلة للتقييم والمراجعة من جديد؟ أم هي كتب قيمة في صحف منشرة!...

(١) الكافي للكليني (٣٢٨هـ) ١٦٩٩ حديث.
(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق (٣٨١هـ) ١٠٤٤ حديث.
(٣) التهذيب للطوسي شيخ الطائفة (٤٦٠هـ) ١٣٥٩٠ حديث.
(٤) الاستبصار للطوسي: ٥٥١١ حديث.
(٥) بحار الأنوار للمجلسي (١١١١هـ).
(٦) الوافي للكاشاني (١٠٩٠هـ).
(٧) وسائل الشيعة للحر العاملي (١١٠٤هـ).
(٨) فضل الله، محمد حسين: خطوات على طريق الإسلام، دار التعارف بيروت ط٥، ١٩٨٦ ص: ٢٤٢ ـ ٢٥٢.
(٩) حديث للإمام علي(ع).

من فوائد المنهجية الحديثة في قراءة النصوص أنها لا تجلب انتباهنا الى المنطوق بل الى المسكوت عنه. مثلاً ذكر الذهبي سنة ١٤٣ هـ كبداية للتدوين متجاوزاً بذلك عصر التدوين عند الشيعة الذي سبق ذلك التاريخ بكثير!

لقد أحصى بعض الأكاديميين المعاصرين[1] كوادر الحديث فوجدهم ستة عشر في عهد الصادق والرضا والكاظم كما عدّ كوادر المناظرة والكلام ليجدهم عشرة أشخاص. فيما نجد اثنين من تلامذة الصادق وثقهم أصحاب الصحاح السنة وخرّجوا لهم وهما فضيل بن عياض التميمي وشعبة بن الحاج بن الورد العتكي (ت ١٩٨هـ) الذي قال الشافعي عنه: لولا شعبة لما عرف الحديث في العراق. فيما قال عنه ابن حنبل: شعبة أمة وحده.

كيف تم إلغاء مدرسة أو جامعة إسلامية ضمت أكثر من أربعة آلاف طالب من لحظة التدوين تلك؟ كيف تم إلغاء شق هائل من الوعي ومن العقل ومن التاريخ؟ وما هي آثاره على الأجيال المتعاقبة في الزمن الماضي والحاضر والمستقبل؟ ما محل إعراب التسعمائة شخص في الكوفة كلهم يقولون حدثني جعفر بن محمد الصادق ما هي أحاديثهم؟ أقاويلهم؟ مقولاتهم ومقالاتهم؟ هل ساهموا في إثراء علوم الحديث؟ وكيف؟ إن دور الصادق في لحظة التدوين الإسلامي عامة وتدوين الحديث خاصة سيبقى مجهولاً ما لم تتوجه الدراسات الإسلامية توجهاً معاصراً في البحث والتنقيب والتحليل والمقارنة والمقاربة بالاعتماد على آخر المناهج المستحدثة لإنصاف الذات والآخر وإنصاف الحقيقة.

حق الأجيال المسلمة في معرفة الحق

إن الحق الإنساني العام في المعرفة لا حدود له في الإسلام، **﴿إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا**

---

(١) الجابري، محمد عابد: تكوين العقل العربي، دار الطليعة بيروت ط١، ١٩٨٤ ص٧.

تنفذون إلا بسلطان﴾[1] ولكن الحق الإسلامي في المعرفة يكاد يكون معدوماً تجاه ما توصلت إليه الإنسانية حديثاً من حقوق معرفية في شتى الميادين وخاصة على مستوى العلوم التاريخية والفلسفية والعقائدية والفكرية. إنه الحق المبخوص دائماً للأجيال السابقة والحاضرة وربما المقبلة إذا لم تتوجه الأفكار الخيرة والنيرة باتجاه إعادة الأمور الى نصابها في التاريخ الإسلامي من أجل حق المعرفة في الإسلام وهو ركن أساسي في معرفة الحق ـ الله ـ ولعلها دعوة لاعتماد هذا الحق المعرفي الأيبستيمي أو الأيبستيمولوجي وتطبيقه على السلف والخلف.

لقد تضافر النقل بأن الذين رووا عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق[1] من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف، وصنف عنه ٤٠٠ كتاب معروفة عند الشيعة بالأصول رواها أصحابه وأصحاب ابنه موسى(ع) وقد أفرد أبو العباس أحمد بن عقدة كتاب في الآخذين عن الصادق(ع) سماه كتاب «رجال من رووا عن أبي عبدالله الصادق» وذكر مصنفاتهم وأحصائهم ايضاً الشيخ أبو جعفر الطوسي في باب «أصحاب أبي عبدالله الصادق في كتابه في الرجال.

ولعل غزارة علم الحديث لدى الصادق يكشف عنها قتبة قال: «سأل رجل أبا عبدالله الصادق عن مسألة فأجابه فيها: فقال الرجل أرأيت إن كان كذا وكذا؟ ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه! ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله(ص)، لسنا من أرأيت في شيء[3]؟!... فليس الصادق إذن ممن يفتون برأيهم، بالمقابل سنرى مالكاً يبكي وهو على فراش الموت، ولما يسأل عن السبب يجيب: ومن أحق بالبكاء مني، لوددت أني ضربت بكل مسألة سوطاً،

---

(١) القرآن الكريم. سورة الرحمن الآية ٣٣.

(٢) أبو علي الفضل الحسن الطبري في كتاب إعلام الورى، عن حسن الأمين: الشيعة وفنون الإسلام، دار العلم للطباعة القاهرة ط٤، ١٩٧٦ ص٥١.

(٣) الكافي ج١ ص٥١.

وقد كانت لي السعة فيما سبقت اليه، وليتني لم أفت بالرأي[١].

كانت المدينة ـ موطن الصادق ـ مركز الحديث والمحدثين والقراء والمقرئين، بها نشأ الحديث واستوطن الفقه ومنها انتشرا، أما الكوفة فقد اشتهرت بالرأي ربما لبعدها عن المدينة التي توفرت دائماً على زخم هائل للحديث وربما لتأثر الكوفة بالمناخ الفكري أو الثقافي الحضاري لأرض العراق وما جاورها ـ بلاد فارس ـ حيث استوطنت هناك فلسفات قديمة أثرت بشكل او بآخر في الآخذ بالعقل والنظر والتفكير بعكس المدينة التي لم تعش حضارات سابقة مما حفظ لها فضاءاً معرفيا خال من الشوائب بالإضافة الى أسباب أخرى تفتقت عنها مدرستي الرأي والحديث.

السنة تدون عن الصادق:

ذكر الذهبي: في سنة مائة وثلاثة وأربعين شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه، فصنف ابن بديع بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنف هيثم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه، دونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة[٢].

أما ابن حجر فقد ذكر في شرح البخاري: «أول من جمع ذلك ـ الحديث ـ الربيع بن صبيح (ت ١٦٠هـ) وسعيد بن أبي عروبة (ت ١٥٦هـ)، الى أن

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٣ ص ٣٤٦.

(٢) عن دور الإمام الصادق(ع) في الحركة العلمية في عصر الإسلام الدكتور واعظ زاده خراساني أمين عام مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في الجمهورية الإسلامية الايرانية. مؤتمر الإمام الصادق الدولي، مرجع سابق ص ٣٥١.

انتهى الأمر الى كبار الطبقة الثالثة، وصنف الإمام مالك الموطأ بالمدينة (ت ١٧٩هـ) وعبد الملك بن جريج (ت ١٥٠هـ) والأوزاعي (ت ١٥٦هـ) بالبصرة، ثم تلاهم كثير من الأئمة في التصنيف[١].

إذ الذهبي لا يغفل دور الأئمة في حفظ وتدوين الأحاديث قبل لحظة التدوين التي أشار اليها. ماذا يقصد بالأئمة؟ ومن هم؟ بهذا الاتجاه يجب أن تتجه البحوث في الرواية والرواة فمدرسة الخلافة تؤكد أن الرسول(ص) نهى عن تدوين الحديث في عهده خشية اختلاطه بالقرآن ولم يسمح بذلك إلا آخر حياته بعد انتشار القرآن. أما مدرسة الإمامة فتؤكد أنه صلى الله عليه وسلم اختص قرابته وأهل بيته علي(ع) بتدوين الحديث الذي تناقله الأئمة من بعده.

إن النظريتان تتكاملان ولا تتعارضان إذا كان هناك من نية صادقة ومخلصة لله سبحانه باتجاه تكامل الحركة والخط والعمل الإسلامي الواحد والموحد. إذ يؤكد محمد سعيد رمضان البوطي أن الذين رووا عن الصادق ليسوا الشيعة فحسب بل تلقى عنه محدثون من علماء السنة ايضاً، روى عنه سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وابن شهاب الزهري، ومالك وأبو حنيفة ويحيى بن سعيد الانصاري وكل أئمة كتب السنة: أبو داود، الإمام الترمذي، النسائي، ابن ماجه، الإمام مسلم، كلهم رووا عنه أما البخاري فإن الذي دعاه لعدم الرواية عن الصادق هو شكه في السند الذي يصل الى هذا الإمام كما أورد ابن حجر العسقلاني لأن ـ البخاري ـ لم يكن يشك في إنسان أجمعت الأمة على صدقه[٢].

---

(١) نقلاً عن واعظ زاده المرجع السابق ص ٣٥٣.

(٢) البوطي: محاضرة قدمت في مؤتمر الإمام الصادق المشار اليه سابقاً. مرجع سابق ص ٣٤٩.

مذهب الصادق في تفسير الحديث

عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقول: كل شيء مردود الى كتاب الله والسنة، فكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف[1].

وعن أبي عبدالله الصادق عن أبيه عن الإمام علي(ع): إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف سنة رسول الله فاتركوه[2]. لصحة الحديث النبوي ينظر الصادق موافقته للقرآن او عدمه وينهج منهجاً يعتبر أهم المناهج الفكرية المعاصرة ألا وهو منهج التناص أو مقارعة النص بالنص ـ مقارعة نص الحديث بنص القرآن ـ واكتشاف مدى قيمته العلمية من خلال استنطاقه في عملية التناص المذكورة.

علم الحديث بين السنة والشيعة: أي علم وأي حديث نريد؟

يدّعي البعض أنهم أهل حديث دون غيرهم وأنهم أبدعوا فيه كما لم يبدع غيرهم وإذا عاد الباحث الى علوم الحديث التي اختصوا فيها فإنه لا يعثر إلا على تفنن وإبداع في تقسيم وتفريع أنواعه المختلفة فالحديث الضعيف مثلاً ينقسم الى مرسل ومنقطع ومعضل ومدلس ومعلل ومضطرب ومقلوب ومنكر ومضعف ومتروك الخ. . . والحديث المشترك بين الصحيح والحسن والضعيف ينقسم الى: مرفوع ومتصل ومعنعن ومؤنن ومعلق وفرد وغريب وعزيز ومشهور ومتابع وشاهد وعالي ونازل ومدرج متن ومدرج سند ومحرف ومسلسل الخ. . . ولكنها عناوين تبحث في الرواة لا في الحديث بعينه أي أنها علوم لا تبحث في بنية الحديث من حيث تركيبته الداخلية ومدى انطباقها على ما ورد في النص القرآني أو السنة النبوية. علوم تبحث في الجرح والتعديل كعلم واحد أحد يرتكز عليه الحديث لم يعد يملك الصمود الكافي لأنه عجز في أكثر من موقع على الإجابة عل أكثر من تناقض ورد في أكثر من حديث.

---

(١) الكافي ج١/ص ١١.

(٢) الكافي ج١/ص ٥١.

إن منهج الصادق في الحديث أو منهج التناص مع القرآن كنص ثابت لم يتغير ولم يتحرف هو المنهج الذي يجب اعتماده للتخلص من الأحاديث المزورة والدخيلة والمحرفة والموضوعة في التراث الإسلامي ككل، ولعلها دعوة باتجاه تنقية تراث الرسالة الإسلامية ومن ثم حملها الى الناس كافة بكل صفاء ووضوح وأمانة وصدق. لقد شكل الصادق ومدرسته لحظة زمنية فارقة على مستوى الوعي الإسلامي للنص الديني - قرآن وسنة نبوية -، معه سيحقق العقل الإسلامي طفرة معرفية هائلة وسينتقل من عقل مستقبل وحافظ لنص الوحي الى عقل واع ومحرك ومرسل لوحي النص من خلال عملية استنطاق وتناص وتوليد للمعنى المقدس الذي غطى مختلف مجالات المعرفة والعلوم الإسلامية آنذاك من فقه وأصول وعلم كلام وفلسفة الخ. . .

هكذا يمكن فهم لماذا جاءت صحاح الشيعة غزيرة بالمعنى وبتوليد المعنى أكثر من أخواتها صحاح السنة التي جاءت جوفاء وفارغة أو مقعرة لم تطلق للعقل السني عنانه في البحث الحر والمتمرد شأن العقل الشيعي في ذلك ولعل هذا ما يبرر الموروث الفلسفي والفكري والعقائدي الذي يحتوي عليه تراث الشيعة بالمقارنة مع تراث السنة.

هناك حقيقة تاريخية لا بد من الإشارة إليها وهي أن الصحاح النبوية لأهل السنة والجماعة جاءت متأخرة قرناً كاملاً على وفاة الصادق وقرناً ونصف على حياته العلمية! وبعد أليس من التجني إغفال دوره ودور مدرسته وأصحابه وأتباعه في حفظ الحديث لا كنص مكتوب أو كمادة لغوية بل كمنطوق وكدلالة وكرمز وكإشارة لاستنباط مختلف الأحكام الشرعية إلى جانب القرآن الكريم وغيرها من المصادر!؟ . . .

مع الصادق في حديثه عن أبيه عن جده رسول الله(ص):

قراءة معاصرة:

كيف يمكن قراءة «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث أبيه وحديث أبيه حديث علي بن أبي طالب وحديث علي حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله عز وجل»[1].

هل هو محاولة لإضفاء الشرعية على أقواله؟ أم هو شكل من أشكال توظيف الديني لترسيم الدنيوي؟ أو توظيف المتعالي المطلق لترسيم الوضعي النسبي؟ أم هو قمة العلاقة بين الإيديولوجي والأيبستيمولوجي في الثقافة الإسلامية؟ أم غير ذلك مما درج كبار المفكرين والاكاديميين العرب والمستشرقين على إثارته؟ . . .

تاريخياً قبل الإسلام وبعده كان هناك بعض البيوت العربية تتولى بعض الشؤون في القبيلة وتتفرد بها دون غيرها كسدانة الكعبة ورفادة الحجيج مثلاً. هذا المعطى التاريخي والأنتروبولوجي سيتواصل بعد مجيء الإسلام وسيكشف عن نفسه بشكل سافر في اجتماع السقيفة وذلك التسابق المحموم الذي جرى فيها بين بعض البيوت والقبائل لوراثة النبوة سياسياً وعسكرياً، وستستمر هذه الحقيقة التاريخية بحيث لن يخرج الحكم الإسلامي من بيت أموي واحد إلا لينتقل الى بيت عباسي واحد طوال التاريخ ولعل بقايا التفكير القبلي العربي ما زال موجوداً في مجتمعاتنا رغم تهجم القرآن عليه ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾[1].

إذاً الباحث يرى أن هناك بيتاً واحداً أخذ دور النبوة فكراً وممارسة وسلوكاً، بيتاً واحداً آثر منذ البداية أن يحفظ ميراث النبوة وعلمها وخطها

---

(١) حديث للإمام جعفر الصادق عن: محسن الأمين: أعيان الشيعة ج٣ ط٣ ص ٣٤.

(٢) القرآن الكريم. سورة الحجرات الآية ١٤.

وحركتها ذلك هو بيت آل رسول الله(ص). إن هذه المقاربة الانتروبولوجية يمكن أن تشكل أحد مداخل الرد على المستشرقين ومن سار نحوهم الذين ينكرون الإمامة الشرعية ويرون في حركتها إحدى تعبيرات الواقع السياسي والاجتماعي للقبيلة ـ العشيرة ـ التي كانت تقود وتتزعم الواقع العربي قبل الإسلام وبعده حتى يومنا هذا[١].

إن حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله(ص) ليس أكثر من الإقرار بحقيقة أبدية أزلية مفادها أننا نحن الأئمة ونحن فقط الذين شكلوا الامتداد الطبيعي والامتداد الشرعي لخط الشهادة ومن ثم لخط النبوة ولم يكن أي أحد منا بحاجة لإضفاء شرعي أو قدسي لقوله أو فعله فالتاريخ والاجتماع السياسيين أثبتا ذلك دائماً وأبداً.

بين الشرعية الزمنية والمشروعية الروحية

إن حديثي عن أبي عن جدي عن رسول الله(ص) لم يرد إطلاقاً لإضفاء الشرعية الروحية للأئمة المعترف بها حكماً بقدر ما جاء لإضفاء المشروعية العليا للسيادة في الإسلام أي للعقيدة الإسلامية أو للتوحيد وللنبوة وللإمامة كامتداد لها في الفضاء الزماني والمكاني للحياة البشرية عامة والإسلامية خاصة. وهل احتاج الإنسان في حركته الأزلية الأبدية إلا الى إمام يرشده، يهديه، يدله، يقوده حتى وإن تحول هذا الإمام الى العقل المحض في الفلسفة الغربية المعاصرة!...

هكذا يرسم الصادق معالم الإمامة في نص حديثه المذكور ليقول إن حركتها هي حركة النبوة في امتدادها الشرعي وقد أراد بذلك أن يربطهم بلحظة النبوة والرسالة والوحي أو بتلك اللحظة كبعث وانبعاث ونشور وانولاد وتولد

---

(١) راجع ثلاثية محمد عابد الجابري «تكوين العقل العربي، بنية العقل العربيين: العقل السياسي العربي، صادرة عن دار الطليعة ما بين ١٩٤٨ ـ ١٩٩٠ وقد جاءت قراءة مشوهة لحقائق كثيرة عن تاريخنا وثقافتنا وحضارتنا.

وتوليد للأنا الإنسان وللأنا الإمام وللأنا النبي وللأنا المرسل والرسول والرسالة[1].

لقد اصطدم العقل الفاتح شأنه شأن الجيوش الفاتحة ببطون أودية متشعبة وسلاسل جبال وعرة ومرتفعات صعبة ومنحدرات خطرة ومنعطفات ملتوية مرت قبل آلاف السنين مع الذين خلوا من قبلهم تاركين بصماتهم الفكرية والثقافية والعقائدية.

وحده الصادق يتفطن الى الطبوغرافيا المعرفية التي اصطدم بها الفاتحون الجدد للطبيعة والحياة والكون والمنفتحون على تضاريسها الحضارية ويمدهم ببوصلة تحكم وتوجيه وإرشاد في كل مرة يتيهون فيها عن الله وعن صراطه المستقيم.

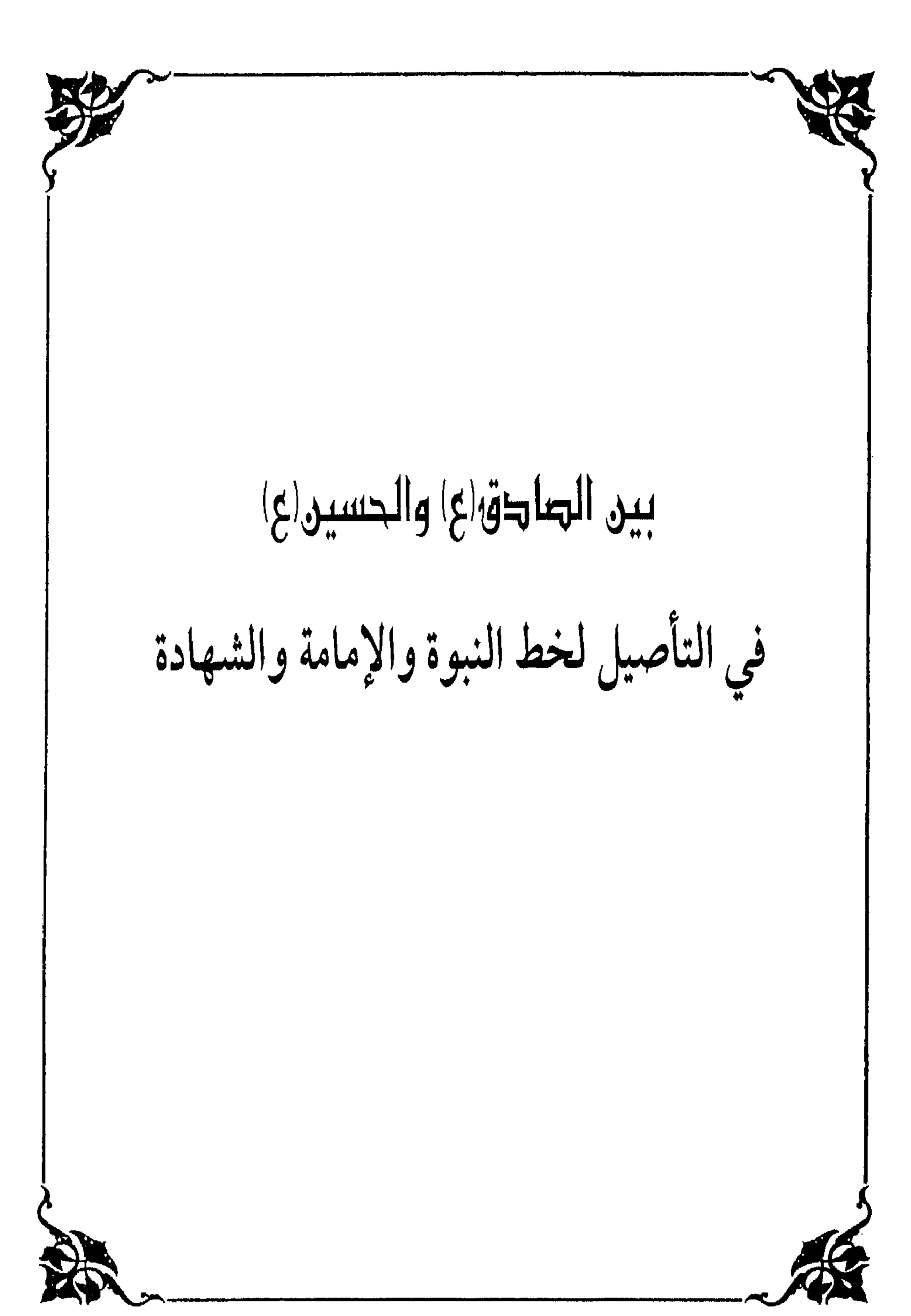
بين النص الديني الشرعي والنص الوضعي: أين نحن؟

إن التزام المؤمن بنص القرآن ونص الحديث شكلا جوهر حركة الصادق وكل الأئمة من قبله وبعده ولعلنا ونحن في زمن تزاحم النصوص وتدافعها وتغالبها نحتاج الى نص **﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾**.

ولعلها دعوة لتجاوز المحنة المعرفية التي نعيشها والمتمثلة في الانزلاق وراء نظريات وأفكار ومناهج بعيدة عن أصولنا الأساسية للقرآن والسنة.

---

(١) الشهيد محمد باقر الصدر: المرسل، الرسول، الرسالة: الحقيقة أن الكاتب وجد صعوبة في توثيق مقالات السيد الشهيد (رض) لأنها كانت توزع ضمن منشورات وكتيبات داخل صفوف الحركة الإسلامية ومنتظميها في الثانويات والجامعات في تونس في مطلع الثمانيات ولظروف ذاتية وموضوعية يعتذر الكاتب لعدم استطاعته توثيق استشهادات كثيرة أوردها خلال البحث وإن كانت معلومة للعاملين في الحركة الإسلامية والمطلعين والمتتبعين لفكرها هنا او هناك في العالم الإسلامي.



بين الصادق(ع) والحسين(ع)

في التأصيل لخط النبوة والإمامة والشهادة

في التأصيل لخط النبوة والإمامة والشهادة:

الصادق والحسين(ع)

إن أي ثورة في التاريخ تستند الى فكر ثوري كما أن أي حركة تاريخية أو اجتماعية أو ثقافية أو حضارية تحتاج الى عقيدة تستلهم منها زخمها واستمراريتها وما حدث لثورة الحسين(ع) هو العكس تماماً!؟ إنها الثورة التي سبقت الفكر والحركة التي سبقت الوعي والفعل الذي سبق القول والتطبيق الذي سبق التنظير!؟..

وهذا سرّ عظمتها وهولها وفرادتها التاريخية دائماً وابداً... وسر كل فكر حسيني تبعها وكل وعي وكل قول وكل تنظيم وتنظير وتخطيط بعدها.

مع الصادق عبر الوعي عن ذاته تعبير الحركة في كربلاء وأكثر. ونطق القول من الفعل الحسيني. وانولدت النظرية من ذلك التطبيق... كتبت ثورة الحسين بدم أحمر قان وكذلك نفذت وحفظت في التاريخ لتهز اجتماعه واقتصاده وثقافته في كل مرة وبكل عنف بوجه الظلم والظالمين. وستبقى «هذه الأمة على موعد مع الدم، دم يلون الأرض، دم يلون الأفق، دم يلون التاريخ، دم يلون الدم، ونهر الدم لا يتوقف، دفاعاً عن العقيدة، دفاعاً عن الأرض والأفق والتاريخ، دفاعاً عن الحق والعدل والحرية والكرامة، فأنتم يا أهل بيت رسول الله(ص) من حمزة الى أبي عبدالله الحسين، الى السيد عباس الموسوي، تضيئون بدمكم الطاهر هذا الوادي وهذا الحوض، كلما اشتد الكرب وادلهمت الدنيا»[1].

---

(١) الشقاقي، فتحي: أمين عام الجهاد الاسلامي في فلسطين، تسجيل صوتي عن إذاعة النور بيروت عشية استشهاده ولحظة كتابة هذه الورقة.

يذكر الشهيد مطهري أنه «لولا موقف الإمام الصادق(ع) هذا لم يبق لثورة الحسين(ع) أثر يذكر في التاريخ، فهو الذي حافظ على هذه الثورة العظيمة وأعطاها الاستمرار التاريخي المطلوب[1]. أما كيف ولماذا؟ فلأن عمل الأئمة الأطهار(ع) جميعهم بلا استثناء هو المحافظة على دين الله العظيم بكل الصور الممكنة، سواء أكان بإراقة الدماء الزكية، أم بالمقاومة السلبية، أم بالجهاد العلمي والثورة الفكرية، أم بغير ذلك من الوسائل التي تختلف بحسب اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية[2] ذلك أن عدم ترك الأولى كقاعدة يلتزم بها جميع الأئمة جعلت الإمام الصادق(ع) يختار الثورة العلمية ويضرب صفحاً عن الثورة الدموية[3].

ولكن ما هي الخطوط العريضة أو المنهجية العلمية لحركة الصادق؟ . . . يرى الباحث أنه تحرك باتجاهين علميين وهما اتجاه بعث وتنمية الثقافة الإسلامية العالمة واتجاه بعث وتنمية الثقافة الإسلامية الشعبية.

لقد سبق أن استعرضنا دوره ومركزه العلمي في الفقه وعلوم القرآن والحديث وغيرها من معال المدرسة الجعفرية أو المذهب الصادقي في التعليم والتربية والثقافة العالمة التي أرست معالم الفكر الإمامي في الإسلام ولعلنا نشير هنا الى ثقافة أخرى تتجاوز الخاصة وتلتقي أكثر بالقاعدة الإسلامية.

معالم الثقافة الإسلامية الشعبية في حركة الإمام الصادق

لا تحتاج الجماهير أو الشعوب الى كثير فلسفة لتقريب المفاهيم الدينية أو غيرها الى أذهانها لكي تعتنقها وتحملها وتدافع عنها ولعل أسرع طريق الى ذلك هو توظيف الثقافة الشعبية أو الجماهيرية وتحريك وعيها من خلال

---

(١) مطهري، مرتضى: من حياة الأئمة الأطهار، الدار الإسلامية بيروت ط١، ١٩٩٢ ص ١١٩.

(٢) مطهري: مرجع سابق ص ١٢٠.

(٣) مطهري: مرجع سابق ص ١١٦.

الإيحاءات والإشارات والرموز المعنوية، أو توظيف ما يسمى في اللغة المعاصرة بالمخيال أو الخيال أو الأسطورة.

إن الخيال والمخيال والأسطورة والقصة أو الحادثة ـ الواقعة التاريخية ـ هي خير مثير للمشاعر اولاً وللفكرة ثانياً وهذا الأسلوب قديم جديد في تاريخ الشعوب والأمم والحضارات لإدارة الصراع فيما بينها أو داخلها في محاولة للضغط على التفاعلات النفسية والاجتماعية والنفس اجتماعية والتاريخية والنفس تاريخية، من أجل تثوير التراكمات أو الترسبات الشعورية واللاشعورية في وعيها ولاوعيها الجماعي ومن ثم دفعها للحركة والفعل ورد الفعل.

أليس من الملفت مثلاً أن تحشد الدولة الصهيونية كل رموزها الدينية ـ أرض الميعاد، شعب الله المختار. . . ـ لتجمع كل يهود العالم بعد ٣٠٠٠ عام من التيه في حين تحاصر الحالة الإسلامية وتمنع من توظيف رموزها الدينية في محاولة لتعطيل آلية اشتغال خيالها ومخيلها أو رموزها وإشاراتها ودلالتها التاريخية والحضارية. ولعل الحركة الإسلامية المعاصرة مدعوة الى التركيز والحفاظ والدفاع عن مجال وعيها التاريخي والثقافي والحضاري في الإسلام من خلال التركيز أكثر على الجهاد والدعوة والفتوحات الإسلامية ومختلف مراحل التاريخ الهامة التي سجل فيها الإسلام والمسلمون انتصارات وإضافات للتاريخ القديم والحديث وللحضارة الإنسانية ككل وغير ذلك من أجل إعادة تفعيل الحركة محلياً وإقليمياً ودولياً.

إن تربية الأجيال المسلمة على التضحية والجهاد في سبيل الله والاستشهاد كفلسفة قرآنية وكخط رباني ورسالي هي ضرورة ملحة للحفاظ على بقاء القضايا الجوهرية في الإسلام حية في الأذهان والأرواح والعقول. إن إحدى معالم التطبيع الثقافي بين العرب وإسرائيل هو العمل على تطهير اللغة ومن ثم الفكر والتاريخ والثقافة من كل شيء له علاقة بالجهاد[1] والاستشهاد

---

(١) إشارة الى حركة التطبيع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية في بعض الدول العربية كمصر والأردن وتونس والمغرب.

في سبيل الله والأرض والإنسان وإنه لمن المؤسف حقاً أن يستغني شق لا بأس بـه من المسلمين عن التراث الحسيني ويعدونه على حساب خط أو جهة أو طائفة بعينها ولا يلتفتون الى أن إحدى أسباب غياب الثورة في فكرهم وحركتهم قديماً وحديثاً هو فقدانهم لمعين ثوري مقدس وخالد والحيلولة دون تفعيل حركة الجهاد والتضحية في ثقافة جماهيرهم ووعيها.

إنها ليست دعوة لإغراق الساحة بالدماء بقدر ما هي دعوة لعدم إغلاق بوابة الجهاد بعد إغلاق باب الاجتهاد!...

الثقافة الإسلامية العامة

روي عن الإمام الصادق(ع) أنه قال للفضيل: يا فضيل، أتجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم، قال: يا فضيل هذه المجالس ـ الحسينية ـ أحبها، أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا!

كما ورد عنه أنه قال لأبي هارون المكفوف: يا أبا هارون أنشدني في الحسين، قال فأنشدته، فبكى، فقال عليه السلام: أنشدني كما تنشدون ـ يعني بالرقة ـ قال: فأنشدته، فبكى، ثم قال: زدني، فزدته، فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستار، فلما فرغت قال لي: يا أبا هارون، من أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى عشرة كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين فبكى وأبكى واحداً كتبت له الجنة[1].

وتستمر المجالس الحسينية كإحدى التعابير الثقافية الشعبية الدينية وتستمر معها مواكب الحسين الاستشهادية من أجل الحق والعدل والحرية والإسلام. لقد كانت المجالس المذكورة وما زالت الدينامو المحرك للوعي الإسلامي على المستوى الجماهيري العام لا من أجل الدخول في غيبوبة عن الواقع من خلال تجريح الذات وتأنيبها بل من أجل إعادة إحياء للرسالة وللدور

(١) عن كامل الزيارات الباب ٣٣.

وللفكر وللروح الإسلامية والرسالية على أرض الواقع من خلال استحضار النموذج الأعلى للتضحية في سبيل الله.

لقد أرسى الصادق معالم عاطفة دينية إيجابية مقدسة لتسمو بالعطاء والتضحية السامية في سبيل المبدأ الأسمى وفي سبيل تحرير الأرض والإنسان في التاريخ القديم والحديث في إيران الإسلام وفي جنوبي لبنان وفي فلسطين وفي مختلف بقاع العالم الإسلامي ولعل الباحث لا يجد أوجز وأبلغ وأدق تعليق عن إنجازات الثورة الإسلامية في إيران من قول الإمام الخميني (قدس) إن كل ما عندنا هو من بركة دماء الحسين: أو هو من عاشوراء الخيال والعاطفة والعقل في الإسلام.



في التأسيس للعقل الإسلامي

العقل الجعفري

في تشريح الجسد العقلي في الإسلام

يقصد بالعقل الجعفري كل العقول التي أخذت وتأثرت أو تفتقت عن عقل جعفر بن محمد الصادق(ع) ذلك العقل الذي لا يجد الباحث له توصيفاً إلا ما ذكره صاحبه عنه:

عن سماعة ابن مهران قال: كنت عند أبي عبدالله(ع) وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل فقال(ع): إعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا. قال سماعة: قلت: جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال أبو عبدالله(ع): إن الله جل ثناؤه خلق العقل وهو أول خلق خلقه من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له ادبر فأدبر، فقال الله تعالى خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي، قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً، فقال له ادبر فأدبر ثم قال له أقبل فلم يقبل، فقال له: استكبرت فلعنه. ثم جعل للعقل خمس وسبعين جنداً، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة وقال: يا رب هذا خلق مثلي خلقته وكرمته وقويته وأنا ضده ولا قوة لي به، فأعطني من الجند مثل ما أعطيته فقال نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال رضيت، فأعطاه خمساً وسبعين جنداً، فكان مما أعطى العقل من الخمس وسبعين جنداً: الخير وهو وزير العقل وضده الشر وهو وزير الجهل، والإيمان وضده الكفر، والتصديق وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدل وضده الظلم، والرضى وضده السخط، والشكر وضده الكفر، والطمع وضده اليأس، والتوكل وضده الحرص، والرأفة وضده العزة، والرحمة وضده العفة، والعلم

وضده الجهل، والفهم وضده الحمق، والعفة وضده التهتك، والزهد وضده الرغبة، والرفق وضده الخرق، والرهبة وضدها الجرأة، والتواضع وضده التكبر، والتؤدة وضده التسرع، والحلم وضده الشقة، والصمت وضده الهذر، والاستسلام وضده الاستكبار، والتسليم وضده التجبر، والعفو وضده الحقد، والرقة وضده القسوة، واليقين وضده الشك، والصبر وضده الجزع، والصفح وضده الانتقام، والغنى وضده الفقر، والتفكر وضده السهو، والحفظ وضده النسيان، والتعطف وضده القطيعة، والقنوع وضده الحرص، والمواساة وضدها المنع، والمودة وضدها العداوة، والوفاء وضده الغدر، والطاعة وضدها المعصية، والخضوع وضده التطاول، والسلامة وضدها البلاء، والحب وضده البغض، والصدق وضده الكذب، والحق وضده الباطل، والأمانة وضدها الخيانة، والإخلاص وضده الشوب، والشهامة وضدها البلادة، والفهم وضده الغباوة، والمعرفة وضدها الإنكار، وسلامة الغيب وضدها المماكرة، والكتمان وضده الإفشاء، والصلاة وضدها الإضاعة، والصوم وضده الإفطار، والجهاد وضده النكوص، والحج وضده نبذ الميثاق، وصدق الحديث وضده النميمة، وبر الوالدين وضده العقوق، والحقيقة وضده الرياء، والمعرفة وضده المنكر، والستر وضده التبرج، والتقية وضده الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية، والتهيئة وضده البغي، والنظافة وضدها القذر، والحياء وضده الخلع، والصدق وضده العدوان، والراحة وضدها التعب، والسهولة وضدها الصعوبة، والبركة وضدها المحق، والعافية وضدها البلاء، والقوام وضده المكاثرة، والحكمة وضدها الهوى، والوقار وضده الخفة، والسعادة وضدها الشقاء، والتوبة وضدها الإصرار، والاستغفار وضده الإغترار، والمحافظة وضده التهاون، والدعاء وضده الاستنكاف، والنشاط وضده الكسل، والفرح وضده الحزن، والألفة وضدها الفرقة، والسخاء وضده البخل. فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي أو وصي أو

مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان[١].

يمكن لهذا النص أن يشكل خارطة تشريح عقلي لكل العقول النظرية أو العملية التي سبقته أو لحقته وتقويمها ومن ثم تقويم أي سلوك أو عمل إنساني عام أو خاص في التاريخ البشري وهو نص كاف للحكم بوجود عقل كوني معاصر أو جهل معاصر؟! إنه نص فريد في لحظته الزمنية التي انولد فيها بمواجهة الفتوحات العقلية التي سبقته عبر مختلف مراحل التاريخ وهو نص تأسيسي للعقل الإسلامي بمواجهة العقول الوضعية التي سبقته أو عاصرته او تلك التي تلته حتى يومنا هذا؟

بين عقل الوحي وعقل النبوة وعقل الإمامة

بعد عقل النبوة والوحي سيلد عقل الإمامة كامتداد له ومن ثم إمامة العقل الإسلامي: العقل كمصدر من مصادر الترشيع الإسلامي على أسس شرعية ثابتة. العقل كأساس للحساب في الدنيا أو الآخرة.. العقل الذي «خلقه الله من مخزون نوره، وجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياء عينيه، والحكمة لسانه، والرأفة همه، والرحمة قلبه، ثم قواه بعشر أشياء: باليقين ، والإيمان والصدق والسكينة والاخلاص والرفق والعطية والقنوع والتسليم والشكر»[٢].

العقل الذي «أفضل طبائعه العبادة، وأوثق حديثه العلم، وأجزل حظوظه الحكمة، وأفضل ذخائره الحسنات»[٣] والذي يمكن أن يرتفع بالإنسان الى مصاف الملائكة أو ينحدر به الى مستوى الحيوانات.

عن عبدالله بن سنان قال سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق(ع) فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، باب فضل العقل ولزوم طاعته ج١٣ ص ٣٩١-٣٩٢-٣٩٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: مرجع سابق ص٣٩٦-٣٩٨ عن موسى بن جعفر عن أبيه عن إجداده.

(٣) جامع أحاديث الشيعة: مرجع سابق ص ٣٩٨.

طالب(ع) إن الله عز وجل ركب في الملائكة عقل بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من

الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم[1]. **﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾**[2]. **صدق الله العظيم.**

(١) جامع أحاديث الشيعة: مرجع سابق ص ٣٩٨.
(٢) القرآن الكريم. سورة الفرقان الآية ٤٤.

في أزمة العقل العربي

الصادق ومأزق الفكر العربي المعاصر



أزمة فكر أم فكر أزمة

يشكل هذا الفصل مدخلاً لسيل من الكتابات الفكرية العربية والعالمية الحديثة تناولت من الوجهة التاريخية والفلسفية التاريخية واحداً من أعقد الموضوعات الفكرية السياسية في الإسلام ألا وهو تاريخية تشكل العقل السياسي العربي في الإسلام أو العقل العربي الإسلامي في تاريخية تشكله.

لقد وجد الجميع عرباً وأجانب صعوبة كبيرة في حسم الموضوع المذكور كما انتهوا الى استنتاجات متناقضة وغير ثابتة خاصة على مستوى تناول موضوع التشيع في الإسلام وشخصية جعفر بن محمد الصادق(ع) كعلامة فارقة في المذهب المذكور.

جاءت مختلف القراءات العربية حول الموضوع المذكور مشوهة ومبتورة بسبب اعتماد البحاثة أو الأكاديميين العرب مناهج غربية في البحث والتنقيب أسقطوها تعسفاً على الاجتماع السياسي العربي والإسلامي دون التثبت من جدواها أو صلاحيتها بدعوى عالمية المعرفة الإنسانية؟!...

لم يستند الكتّاب المذكورين في نقدهم لفكر الشيعة عموماً والصادق خصوصاً على فهم أولي لفلسفة الإمامة بل اعتمدوا أفكاراً مسبقة وخاطئة فجاءت أعمالهم غرضية أو تحريضية خالية من الأمانة والدقة العلمية والموضوعية التي يفترض أن ينتهي اليها كل بحث.

إن اكتشاف معظم الأكاديميين العرب للتراث الشيعي في مكتبات ومعاهد وجامعات الغرب وتلقيهم السلبي لذلك دون تمحيص كاف أو تدقيق نزيه، جعل قراءاتهم له اجترارية لما كتب في الغرب، وفي أحسن الأحوال ناقدة للمتخيل الغربيعن آلالبيت انطلاقاً من متخيلهم السني عنهم، فتضاعفت بذلك عملية التشويه للقضية وللتاريخ وللواقع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اقترنت البحوث المذكورة حول آل البيت بنزعة علمانية لا علمية وهذا مفهوم جداً، فتكوين رواد الفكر العربي المعاصر علمانياً بحت، تلقوه ورضعوه بالتدرج من مقعد أكاديمي الى آخر. هذه النزعة العلمانية المذكورة والتي لا تخلو من فصل بين الديني والدنيوي، بين الشرعي والوضعي، بين الوحي والعقل، بين الناسوت واللاهوت، أثرت كثيراً في أفكارهم وآرائهم التي أوردوها والتي جاءت تحمل نتائج مقررة ومفهومة سلفاً.

إن نجاح الفلسفة الغربية وعلومها في إعطاء صورة مشوهة عن تاريخ الإسلام عامة وتاريخ أهل البيت خاصة وذلك من خلال إيجاد كراس أكاديمية دائمة ومتنقلة هنا وهناك في العالم تنطق كيف تشاء باسم ديننا وتاريخنا وثقافتنا وحضارتنا هو الذي ساهم أكثر في تشويه صورة الإسلام والمسلمين عامة وصورة أفكارهم وعقولهم خاصة وذلك بعد أن سقطوا شعورياً ولاشعورياً في حبائل الغرب وأدواته ومناهجه الفكرية واجتروها دون التفطن الى الآثار السلبية التي يمكن أن تحتله المناهج المذكورة التي لا يشك إثنان بأنها بنت تاريخ وثقافة وحضارة أجنبية عن الإسلام مهما ادعت عالميتها وأعلميتها!...

لقد عكست الأبحاث المذكورة عقيدة أصحابها العلمية التي أحلوها مكان العقيدة الدينية، علماً بأن العقيدة البديلة التي تبنوها هي من أكثر العقائد اضطراباً وتحركاً واهتزازاً وخاصة أمام تفجر العقل العلمي المعاصر على شتى صنوف المعرفة الإنسانية وكأنهم تجاهلوا أن كل ما توصلوا اليه نسبي نسبية العلوم والمناهج التي اعتمدوها.

تعتبر الكتابات المذكورة باكورة العقل العربي المعاصر، وهي بمثابة مشاريع بحوث استغرقت سنوات وربما عقوداً من الزمن وقد جاءت رغم الانتقادات الموجهة اليها زخمة ومتزاحمة وثرية بالكشوفات والخفايا التاريخية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي أثيرت لأول مرة. وستبقى هذه القراءات مهيمنة ما لم تواجه بقراءات إسلامية ناقدة ومتجاوزة لها وبديلة عنها.

إن البحوث والمشاريع المذكورة قامت بمبادرات فردية هنا وهناك وستبقى رغم ريادتها ناقصة وقاصرة قصور أي عمل يفترض أن يقوم به جماعة أو مؤسسة علمية كما هو عليه الحال في الغرب. ولعلها دعوة الى العمل الإسلامي المؤسساتي أو البحوث الإسلامية المؤسساتية البديلة او المضادة، كضرورة ملحة لمواجهة الصراع الثقافي والحضاري الغربي الذي يتحرك ضمن مؤسسات تتضخم يومياً وتتفرع هنا وهناك في مختلف أصقاع الأرض.

يلفت البحاث الى نمط متأخر وحديث في التحليل المعاصر وهو ما يسمى بجدلية الخوض في المسكوت عنه في إطار تحليل آليات النصوص التاريخية والخطابات الدينية والمطارحات. لقد تأثر معظم المفكرين العرب بالمنهج المذكور، وذهبوا بعيداً في تفكيك ماضي الأمة وثوابتها الى درجة تحويل التراث الإسلامي الى كتل من المطارحات الشاكة والمشكوكة والمشكوك بها وحولها وفيها... الغريب أن هؤلاء المفككون ـ المفكات ـ يتجاهلون النقد الشديد الذي ظهر في المدارس الغربية للمنهج المذكور كالقول «بأن المنهج التفكيكي فيه انحراف يجمع بين عناصر تحليلية بنيوية وبين نزعات عدمية ليس فيها ابتكار، بل صياغة جديدة وللأسف لنزعة الشك التي شاعت قديماً عند الفلاسفة وقد رد عليها أفلاطون وكانت (Kant) وهذه النزعة تؤدي الى فراغ معرفي»[١].

أخيراً يؤكد الباحث أن الكتابات الإسلامية المعاصرة في نفس المواضيع التي أوردناها ما زالت فقيرة وضحلة تفتقد الى كثير من المناهج العلمية الحديثة والى نظرية معرفة إسلامية علمية وناقدة للنظريات الغربية ومناهجها. كما يؤكد الباحث أن الكتابات الإعجازية أو الأسطورية أو التبجيلية التي تناولت التراث الإسلامي بشقيه السني أو الشيعي هي كتابات عقيمة لم ولن تقدم شيئاً باستثناء تغذية المذهبية الضيقة والطائفية البغيضة شرعاً. ولن تساهم ابداً إلا في تكريس

---

(١) D. Walter. Harvard Magazine; the crisis of English studies. sep-oct. 1982, pp. 46-53.

التقوقع ومن ثم الهزيمة الثقافية والحضارية تجاه الآخر ولعلها دعوة الى. دراسات وكتابات ناقدة للتراث ككل وللذات وللآخر من منطلق إسلامي شرعي.

مع محمد عمارة[1]:

في كتابه حول المعتزلة والثورة[2] يذكر محمد عمارة أن الصادق كان يحذر أنصار الثورة من آل البيت بالقول: إن بني أمية يتطاولون على الناس حتى لو طالتهم الجبال لطالوا عليها، وهم يستشعرون بغض آل البيت، ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت حتى يأذن الله بزوال ملكهم[3] ويرى أن المعتزلة وأتباعهم كانوا يتهمون جعفر الصادق وأنصار الإمامة الروحية بالضعف والخوف من تبعات الثورة والركون الى حياة الدعة والهدوء والاشتغال بأمور الدنيا والكلف بها ويستشهد بقول الصادق لزيد الثائر: إن على قضية مذهبك، والدك ليس إماماً فإنه لم يخرج قط، ولا تعرض للخروج[4].

كما يستشهد بمناظرة بين واصل بن عطاء وجعفر الصادق وزيد بن علي عندما قدم واصل الى المدينة حيث قال الصادق مشيراً الى الفريق الذي دخل الاعتزال من أبنائه... إنك يا واصل أتيت بأمر تفرق به الكلمة، وتطعن به على الأئمة، فرد عليه واصل: إنك يا جعفر واني الهمة، شغلتك الدنيا، فأصبحت بها كلفاً، وأغلظ زيد القول لجعفر: إن ما منعك من اتباع واصل إلا الحسد لنا[5].

---

(١) أستاذ جامعي محاضر في مصر.

(٢) عمارة، محمد: المعتزلة والثورة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١، ١٩٧٧ ص ٦٥.

(٣) عمارة: مرجع سابق، عن الشهرستاني: الملل والنحل ج٣ ص ٨٥.

(٤) عمارة: مرجع سابق، عن أصول الإسماعيلية ص ١٠٦ ـ ١١١.

(٥) فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة ص ٣٣٥ وباب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل ص ٢٠ ـ ٢١ مصدر سابق ص ٦٧.

هكذا يبدو الصادق ـ حسب محمد عمارة ـ يتحرك في خط معاكس تماماً لخط ثورة الحسين(ع) لأنه لم يدعم الثوار من أولاد واتباع الحسين وأنصاره وإن كانت الحقائق التاريخية تدحض دعواه حيث كان الصادق خير سند مادياً ومعنوياً للحركات الثورية التي قامت في عهده بما في ذلك ثورة زيد علماً بأن محمد عمارة لم يتطرق من قريب أو بعيد للعلاقة بين الصادق والفكر الاعتزالي التي أثبتها البعض وفندها الآخر. وإذا تساءل الباحث لماذا تخلى المعتزلة عن الثورة المسلحة بعد هزيمة زيد، أجاب عمارة بأن «التحديات الفكرية التي ظهرت آنذاك عن الشعوبية وفرق المانوية والمجوس وكذلك الغنوصية والنساطرة ثم النصارى واليهود، وما تطلب ذلك من الاهتمام بالفلسفة اليونانية والجدل العقلي ومنطق أرسطو بالذات، هي السبب في ذلك». وهنا يقع محمد عمارة في تناقض عندما يبرر تراجع المعتزلة عن خطهم الثوري في حين يتهجم على خط الصادق المهادن ولم يشر الى أن الأخير كان سباقاً في رسم أولويات المواجهة تكتيكياً واستراتيجياً لأن الظروف التي أشار اليها محمد عمارة هي نفسها التي اضطرت الصادق لاستعمال سلاح الفكر والعلم والثقافة دون غيره في ساحة المعركة. لقد تفطن الشهيد مطهري الى بعض ما أشار اليه محمد عمارة إلا أن معالجته للمسألة جاءت أكثر موضوعية وأمانة علمية من الأخير لا لأنه مفكر إمامي جعفري بل انسجاماً مع منطق التحليل العلمي للوقائع والأحداث.

ذكر الشهيد مطهري في كتابه من حياة الأئمة[1] أن أبو الفرج الأصفهاني أورد «أن رؤساء بني هاشم اجتمعوا وأجمعوا على تزكية محمد ذي النفس الزكية كمهدي هذه الأمة وأرسلوا لجعفر الصادق وطلبوا منه البيعة، فقال جعفر: لا تفعلوا، فإن هذا الأمر لم يأت بعد، وإن كنت ترى أن ابنك ـ عبدالله المحض أبو محمد ـ هذا، هو المهدي فليس به، ولا هذا أوانه، وإن كنت تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنا والله لا ندعك،

(١) مطهري، مرتضى: من حياة الأئمة الأطهار، الدار الإسلامية بيروت ط١ ١٩٩٢.

وأنت شيخنا ونبايع ابنك في الأمر[1]. هذه الرواية تؤكد أن الصادق أيد ضمنياً بعض الحركات الثورية وإن لم يؤيدها علنياً، أيدها في بعض الخطوط التي يلتقي فيها معها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يؤيدها فيما يختلف حوله معها: ـ المهدية ـ.

إن ما ذكره الأصفهاني واستشهد به مطهري (رض) يشكل إحدى النصوص والممارسات الفريدة في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي التي تسن قاعدة للتحالف التكتيكي من أجل الوصول الى أهداف استراتيجية سواء كان ذلك مع الصديق أو العدو. وقد فات محمد عمارة هذا البعد النظري والعملي في التحليل والاستنتاج في حين توصل مطهري الى ذلك بالقول: «إن عدم ترك الأولى كقاعدة يلتزم بها جميع الأئمة(ع) هي التي جعلت الإمام الصادق(ع) يختار الثورة العلمية، ويضرب صفحاً عن الثورة الدموية، لأنه زمن لا نظير له بالنسبة الى غيره من العهود والأزمنة، فقد طغت فيه النهضات والحركات الفكرية»[2].

وبهـذا الاستنتـاج الفقهـي الأصـولـي الـديـنـي أولاً والفقهـي السيـاسـي الإسلامي ثانياً ينتصر مطهري على معظم القراءات الأكاديمية المعاصرة للصادق ولآل البيت(ع).

مع علي زيعور[3]:

يتطرق زيعور في كتابه[4] الى الصادق من منظار علم النفس التاريخي ويتناوله ضمن قراءة بسيكولوجية لعقل الإسلام. فحياته انطوائية: كان نمطاً انعكف الى الداخل، فالمعوقات السياسية وعلاقته السلبية بالنظام[5] وإقامة

---

(١) نقلاً عن مطهري: مصدر سابق ص ٩٧.
(٢) مطهري: مصدر سابق ص ١١٦.
(٣) أستاذ جامعي محاضر من لبنان.
(٤) زيعور، علي: التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق، دار الأندلس بيروت ١٩٧٨.
(٥) شكّل الصادق نواة الحركة السياسية المباشرة وغير المباشرة للسلطة وللمعارضة في عهده=

الجواسيس حوله والحوادث الضاغطة جعلته ينكفىء للتفكير[1].

في حين «قدم الحسين نفسه للدين، فقد خرج يطلب الاستشهاد في سبيل قضية رآها إلهية، كان يستطيع إنقاذ نفسه وجماعته، إلا أنه رفض أن يبايع السلطة فبايع على الموت قرباناً لله ولقضية النبي»[2].

هكذا يرى زيعور كلاً من الحسين والصادق من زاوية «بسيكولوجية التورخة» حيث يبرر اتجاه الصادق المذكور نفسياً عندما آثر التوجه الى تفسير القرآن في عملية لاشعورية تستهدف تحقيق الذات المنسحقة أمام الضغط السياسي وقهر السلطة والهروب بالتالي من الواقع ونقل الخارج الى الداخل ـ المكبوت النفسي ـ وصب ذلك المكبوت على آيات القرآن وتفسير آياته وسوره بل وحروفه ـ علم الحرافة ـ التي سيحولها الصادق الى رموز وإشارات ودلالات وماهيات ذات معان مجازية وأسطورية خارقة قادرة على الإتيان بكل شيء وتحقيقه عندما يفشل كل إنسان عن تحقيق شيء في الخارج ـ في الصراع الدائر آنذاك ـ.

ويعلق زيعور على مذهب الصادق في تفسيره للقرآن بالقول: ولكلٍّ الحق في أن يكون مهدي نفسه أو أن يحي في داخله المهدي وأن يخلق ذاته وفق قدراته واجتهاداته[3].

خلاصة ما ذهب اليه زيعور أن مهدي الصادق ومن ثم مهدي هذه الأمة هو القرآن لأنه هو «الهادي والمهدي والهداية والإمام الحقيق، كما يقرأه أي إنسان اليوم، لا كما قرأه فلان المحدث أو علتان الفقيه أو الأصولي أو المفسر أو الإمام، والتفسير الصحيح هو الذي نفسره اليوم، وفق طرائق الحياة والنظر

= عكس مما أشار اليه زيعور من سلبية ـ انظر الحركة السياسية للصادق في صفحات الكتاب.

(1) زيعور: مصدر سابق ص ٥٤.

(2) زيعور: مصدر سابق ص ٤٤.

(3) زيعور: مصدر سابق ص ٨٣.

للإنسان والمستقبل[١].

الحقيقة التي يريد زيعور إثباتها هو أن الصادق تعاطى بكل حرية وعقلانية مع النص الديني ـ القرآن ـ أما الجفر المنسوب اليه فينفي أي علاقة للصادق به. ودائماً من وجهة نظر نفسية ونفس تاريخية. لأن الجهل والانظلام ساهما في بث وتسمين بعض المنسوبات في ذلك الجفر الذي يقدم حلولاً تطمينية وتسكينية لمتاعب اجتماعية ومشكلات حياتية، مما يجعل الجفر أقرب الى القصص الشعبية الشفهية، لا الى عمل صادقي قدس اجتهاد الفرد وأعمال العقل في تطوير الواقع ومجابهة المشكلات[٢].

ويواصل زيعور قراءته النفسية: المهدية فكرة مثالية داخل النفس، تسعى لأن تتجسد في بناء الفرد اللامندرج داخل مجتمعه، يخلو من الجور، ومفعم بالعدل والمساواة، والحرية المهدية اهتمام بالإنسان، بالإنسان الواقعي، وخاصة بالإنسان المنغلب في مجتمعه، والفاقد شعوره بالكرامة والأمن، وفي التشيع الإمامي كما في الفكر الصوفي، يكون الإمام الغائب أو ما يناظره ـ القطب ـ ضرورة نفسية واجتماعية للمؤمن فتلك الفكرة ـ المهدية ـ ظاهرة اجتماعية أو نتاج تاريخي يخضع للدراسة تحليلاً ومقارنة واستنتاجات[٣].

يذكر أن زيعور يرى أن «المهدية في التشيع سابقة على تكون الإمامية وأن لا علاقة لها بالمسيحية لأن النبوة في أصلها ظاهرة مهدية هادية ورحمة للعالمين»[٤].

أما التشيع فهو «في جذوره حركة تعني إعطاء النفس والتضحية بالذات خدمة للدين وللكعبة ولأهل الله وأهل البيت ـ الكعبة[٥]. والشيعة برأيه

---

(١) زيعور: مصدر سابق ص ٩٤.
(٢) زيعور: مصدر سابق ص ١٠٩.
(٣) زيعور: مصدر سابق ص ٣٤٠.
(٤) زيعور: مصدر سابق ص ٣٤٠.
(٥) زيعور: مصدر سابق ص ٣٣.

هي أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للقتال[١] أي أن الشيعة هم الناس المستعدون للاستشهاد والسائرون في مقدمة الحسين: هم المبايعون على الموت، المضحون بأنفسهم، هم الضحايا المقربة الى الله، هم ملك الجماعة لا يملكون ذاتهم، إنهم الصوفيون بالمعنى الذي أقوله للكلمة أصفياء، أي صوفيون، فالصوفيون والأصفياء واحد[٢].

خلاصة البحث أن زيعور يقول بوجود مذهب صادقي في التصوف وأحوال النفس والتشيع[٣] فهو ـ أي الصادق ـ لا يقول بغيبة ولا حلول ولا رجعة، حارب المغالاة والتطرف، كما رفض أفكار التشيع الباطني، مبقياً على تشيع فكري، روحي نفساني، فالصادقية هي عطاء النفس للمعرفة، ولبناء الإنسان المجاهد وهي أفكار إيجابية لبناء مجتمع عادل[٤] ويستمر زيعور في قراءته النفسية والنفس اجتماعية والنفس تاريخية ليقول بأن الصادقية مذهب إنساني أممي لأن الصادق يرى في ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ لا يقف معناها عند ان الله لا يقبل إلا المسلم، وأن دين محمد هو وحده الدين، فالواقع أننا اليوم ايضاً لا نستطيع ولا يجوز أن نقف ونقول للناس، ديننا أفضل، ونحن أمة الله، ونبينا وتراثنا هما في القمة، وحدهما الصالحان وما عداهما كفر وبطلان. . . ثم إننا نجد في القرآن آيات عديدة تقف ضد فضل الإسلام، ديناً ينفي ما عداه ويكفر ويسفل الآخرين. . . وإذن فالمعنى الذي ينبغي علينا اتباعه لتلك الآية هو المعنى الذي سنرى أدناه في تفسير الصادق أي في التعابير الصوفية والذي يأخذ بالاهتمام وجود المسلمين في حضارات وفي هيئة أمم وأمام البشرية وداخل تطور الفكر البشري ووحدته وداخل نظرة للإنسان بغض الطرف عن لونه ودينه وعرقه وطبقته. يهتم به ككائن حر يخضع لقوانين في التطور، وليس ماهية ثابتة، ولا من الأعيان المجردة أو الجواهر الفارقة وما الى

---

(١) زيعور: مصدر سابق ص ٣٨ ـ ٣٩ نقلاً عن الفيروزآبادي ج٣ ص ٣٨١.
(٢) زيعور: مصدر سابق ص ٥٩.
(٣) زيعور: مصدر سابق ص ١٥.
(٤) زيعور: مصدر سابق ص ١٥.

ذلك . . . وإذن ينبغي الاهتمام بالتفسير الذي يجعل البوذي مثلاً مسلماً وكل صاحب عقيدة مسلماً وهذه وجهة نظر تفسيرية والطريف أن أسلافنا توصلوا إليها[١].

مع محمد عابد الجابري[٢]:

في فترة (١٩٨٤ ـ ١٩٩٠) وضع الأستاذ محمد عابد الجابري ثلاثية نقد العقل العربي (تكوين، بنية، العقل السياسي العربي) وقد استعان في ذلك بالعدة الفلسفية الإنسانوية والتقنوية الغربية متوسطاً لالاند Lalande وبياجيه Piaget وغوستاف يونغ K.G.Jung وباشلار G.Bachelard وغيرهم[٣]، وقد توصل الى تحديدات صارمة لأنظمة معرفية ثلاث احتكم اليها العقل المذكور: نظام بياني ـ سني ـ ونظام عرفاني ـ شيعي ـ ونظام برهاني غائب ومغيب لدى الاثنين ـ السنة والشيعة ـ وهي أحكام قابلة للنقاش.

لدى تعرضه لفكر آل البيت(ع) يصف العقل الذي حكموا واحتكموا اليه وتحكموا به بأنه عقل مستقيل ـ مجنون، خارج عن الواقع ـ وهو عقل متهرمس لأن الفلسفة الهرمسية كانت أول ما تعرف عليه المسلمون الفاتحون آنذاك.

إن القراءة الانقسامية أو الانشطارية المذهبية لما يسمى العقل التاريخي العربي ـ تكون سنياً فتقرأه نقداً للفكر الشيعي، أو تكون شيعياً فتقرأه نقداً للفكر السلطوي ولما يتعلق به من عقل سني ـ لن تؤدي كما هو الحال مع مشروع الجابري (النقدي) لغير طمس هوية العقل العربي الحر والمستقل[٤]، مع ذلك فلنقرأ مكتوب محمد عابد الجابري: تم في عهد الصادق (ت ١٤٨هـ) وبإشرافه تنظيم الفكر الشيعي وصياغة قضاياه الأساسية صياغة نظرية . . . وإذا

---

(١) زيعور: مصدر سابق ص ٨٣ ـ ٨٤.
(٢) أستاذ جامعي محاضر من المغرب.
(٣) خليل أحمد خليل: العقل في الإسلام، دار الطليعة بيروت ط١، ١٩٩٣ ص ٧٧.
(٤) خليل أحمد خليل: مرجع سابق ص ٧٩.

عرفنا أن التاريخ لتدوين «العلوم وتبويبها» عند الشيعة قد فعل هو الآخر الشيء نفسه فسكت عن العلم السني، أدركنا أن عملية التطويق كانت متبادلة: لقد كان السكوت عن «العلم الشيعي» جزءاً من الشروط الموضوعية التي حددت وأطرت شروط صحة «العلم السني» والعكس صحيح كذلك[1].

فهل هناك حق سكوت متبادل، ومن فرض السكوت على «العلم الشيعي» سوى العقل السلطاني؟ وتالياً من يقمع الثقافة والمثقف في تاريخنا سوى المالك السلطوي السيفي؟ ومن جعل الفكر الشيعي السياسي المعارض للسلطة، يكتفي بصيغة فقهية لقضاياه دون مجابهات مع «علم سني» يفترض أنه منحاز للسلطة القائمة حين لا يكون هو فكرها وفكرويتها؟ لم لا يتواضع م. ع. الجابري فيحاول قراءة «العقل العربي» في سياق تاريخي خلافي/ صراعي، ليفرق منذ بداية دولة المسلمين بين عقل سلطوي وعقول المخالفين له في كل دور وطور - حتى في عهد النبي وخلفائه المباشرين[2]. . . وليميز للحظة من اللحظات وضعه ثلاثية «نقد العقل العربي» ما بين الإسكات والسكوت في تاريخنا المكبوت؟ لم الكلام فقط على «مسكوت عنه» ولا كلام على الإسكات بذاته، أي إقالة المعارضة من السياسة ومن تاريخ الدولة والجماعات[3]. وهل يستطيع الجابري أن يقيم دليلاً واحداً ينفي دور الأئمة في وقوفهم ضد إقالة العقل من منصبه أو استقالته منه في ساحة الصراع الممتدة مكانياً او زمانياً في حركتهم. . . يشار الى أن للكاتب المذكور طريقة خاصة في قراءة العقلية الشيعية، قوامها الرجوع الى ماني أو مانيس المولود في بابل سنة ٣١٥م، ومن هنا يرى أن المانية (لا المانوية) تطمح الى إنشاء دين جديد يجمع بين تعاليم الزرادشتية والبوذية والمسيحية، ويعتمد العرفان أو المعرفة الباطنية (الغنوصية) التي تبناها الشيعة والمتصوفة وأصحاب الاتجاهات

---

(١) الجابري: تكوين العقل العربي، دار الطليعة بيروت ط١، ١٩٨٤ ص ٦٦.
(٢) خ. أ. خليل، مرجع سابق ص ٧٩.
(٣) خ. أ. خليل، مرجع سابق ص ٨٠.

الإشراقية .

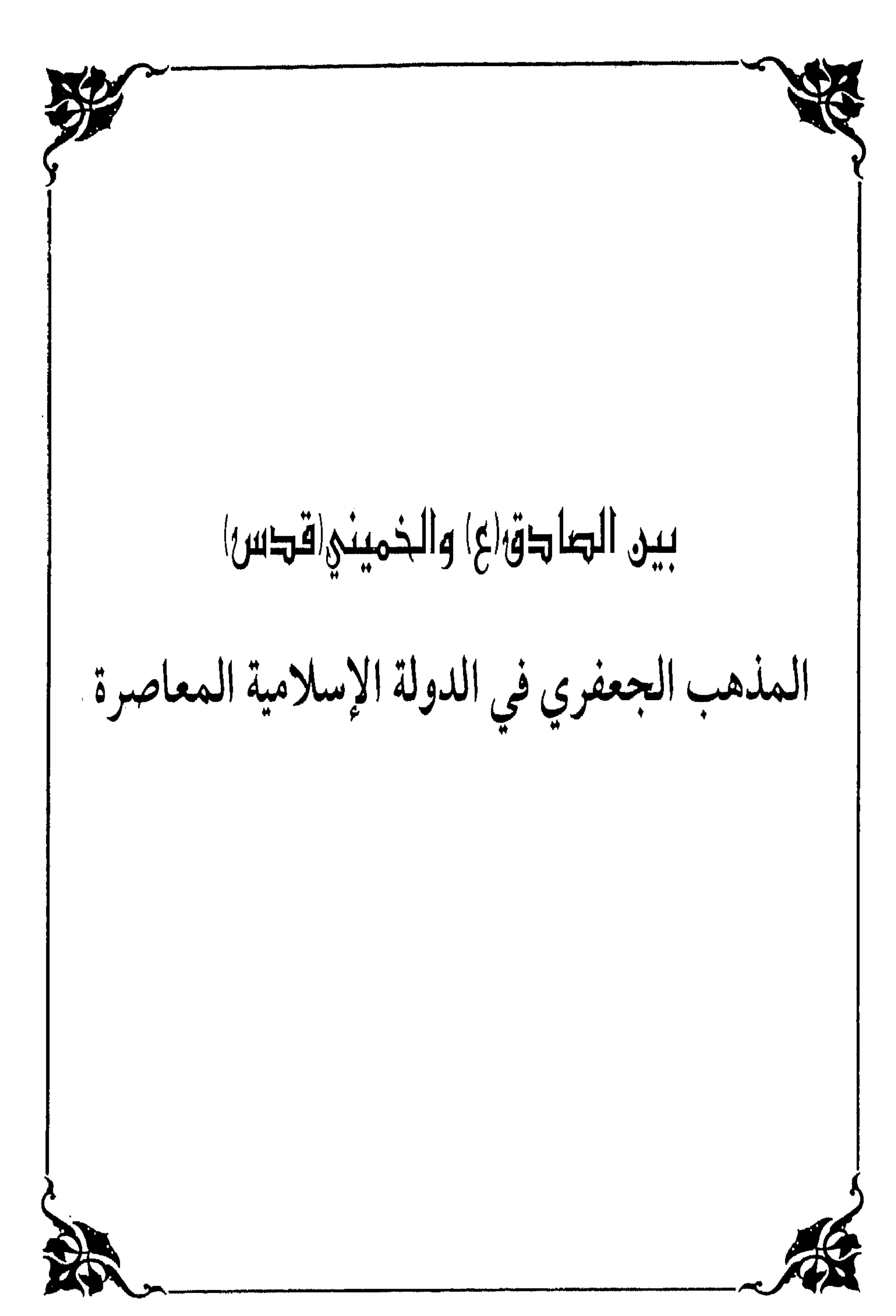
وما جابر بن حيان تلميذ الصادق إلا فيلسوفاً متهرمساً حسب رأيه. أما هشام بن الحكم فهو أبو الهرمسية الفعلية للفكر الشيعي[٢]، ولا يخفى أنه نقل حرفياً أفكار وآراء ماسينيون وهنري كوربان[٣] المشكوك فيها والتي انتقدها المستشرقون والإسلاميون على حد سواء.

ويواصل الجابري القراءة التشويهية للتراث وللتاريخ وللحضارة الإسلامية ولفكرها وعقلها وثقافتها.

لقد كانت الشيعة قبل الصادق تواجه الدولة مواجهة سياسية عسكرية، أما الآن فقد تحولت معه من العمل المباشر ضد الدولة الى العمل الثقافي بهدف إعداد جيل من الثوار[٤] في حركة استراتيجية هدفها «السيطرة الثقافية والهيمنة البسيكولوجية بواسطة ادعاء سر النبوة والتحلي بالألقاب وإطلاق الشعارات»[٥] والحق أن جعفر الصادق كان الشخصية العلمية الشيعية التي اشتغلت أكثر من غيرها بتنظيم المذهب الشيعي ورفع الشبهات عنه، وهكذا لم يتردد في طرد أبي الخطاب أحد تلامذته ودعاته الكبار والبراءة منه حينما أخذ يظهر الغلو في شأنه وينسب اليه علم الغيب ويدعي في حقه حلول الإله فيه، وإن كان جعفر الصادق قد استنكر هذا الغلو فإنه لم ينف عنه ولا عن أئمة الشيعة وراثة النبوة[٦] أو علم اللاهوت ـ العلم اللدني ـ. . . فهل يستطيع الجابري أن ينفي عنه ادعاءه وراثة علم الناسوت ـ العلم الدنيوي ـ؟! إن مشروع م. ع. الجابري يحكي الأزمة الفكرية والثقافية والحضارية التي تعيشها النخبة في وطننا العربي الإسلامي ويشكل إحدى حلقات الهزيمة التي أفرزته الدولة القومية المعاصرة والتي ساهمت في بداية مسلك التطبيع والتسوية.

---

(١) الجابري، مرجع سابق ص ١٩٠.
(٢) الجابري، مرجع سابق ص ٢٢٨.
(٣) الجابري، مرجع سابق ص ١٩٩.
(٤) الجابري، مرجع سابق ص ٦٧.
(٥) الجابري، مرجع سابق ص ٣٣٧.
(٦) الجابري، مرجع سابق ص ٣٧٠.



بين الصادق(ع) والخميني(قدس)

المذهب الجعفري في الدولة الإسلامية المعاصرة



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قراءة في دستور الدولة الإسلامية

نص دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفري الاثني عشري هو المذهب الرسمي لها» وهذه المادة تبقى الى الأبد غير قابلة للتغيير[1].

كما نص «إن المذاهب الإسلامية الأخرى التي تضم المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي فإنها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحراراً في أداء مراسمهم الإسلامية حسب فقههم، ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي في مسائل التعليم والتربية الإسلامية والأحوال الشخصية (الزواج، الطلاق، الإرث، الوصية) وما يتعلق بها من دعاوي المحاكم[2].

ونص «إن الزرادشت واليهود والمسيحيين هي وحدها الأقليات الدينية المعترف بها، وتتمتع بالحرية في أداء مراسمها الدينية ضمن نطاق القانون، ولها أن تعمل وفق قواعدها في الأحوال الشخصية والتعاليم الدينية»[3].

كما نص «بحكم الآية الكريمة **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين﴾** (الممتحنة/ آية ٨) على حكومة جمهورية إيران الإسلامية وعلى المسلمين أن يعاملوا الأشخاص غير المسلمين بالأخلاق الحسنة والقسط والعدل الإسلامي وأن يراعوا حقوقهم الإنسانية، تسري هذه المادة[4] على الذين لا يتآمرون ولا يقومون بأي عمل ضد الإسلام أو ضد جمهورية ايران الإسلامية.

---

(١) دستور الجمهورية الإسلامية الايرانية يتألف من مقدمة و١٢ مادة و١٧٥ فقرة وضع للاستفتاء عليه وفاز بنسبة ٩٨,٢٢٪ في ١-٢ جمادى الأولى ١٣٩٩هـ.

(٢) نفس المصدر، المادة ١٢.

(٣) مصدر سابق، المادة ١٣.

(٤) مصدر سابق، المادة ١٤.

وختم الدستور على مستوى العقائد بالقول: «العقائد مصونة، ولا يجوز التعرض لأحد لمجرد اعتناقه عقيدة معينة»[١].

إن قراءة علمية ونزيهة وموضوعية تؤكد للصديق والعدو والمتعاطف أن النظام القائم في إيران لم يدع لنفسه لا تفويضاً ولا حقاً إلهياً، وهو زعم ليس له من دليل سوى أن الفقهاء هم الذين يحكمون لاعتبارات سياسية بحتة وليست دينية. ولنذكر أن قيادة الثورة انحازت في البداية لحكم السياسيين أو المدنيين ـ إن صح الوصف ـ فكان المهندس بازركان هو أول رئيس للوزراء، وأبو الحسن بني صدر ـ وهو اقتصادي ـ أول رئيس للجمهورية. وأن الرأي المبكر كان يرى أن يكتفي الفقهاء بمجرد الإشراف والتوجيه دون التنفيذ، وعندما لم ينجح التعاون بين الطرفين لسبب أو آخر، تولى الفقهاء السلطة، لا باعتبارهم سدنة أو رجالاً للكهنوت، ولكن بحسبانهم أهل ثقة كما تقول الصياغات السياسية المعاصرة، وهو مسلك شائع في كل الأنظمة الثورية التي نعرفها[٢].

الأهم من ذلك أن الشيعة الإمامية يقولون حقاً بعصمة الإمام ولكن هذه العصمة تنسحب فقط على الأئمة الاثني عشر الثابت عندهم والذين لم يباشروا الحكم مباشرة واكتفوا بالزعامة الروحية. أما في حال الغيبة فإن الذي يباشر قيادة المجتمع الشيعي يعد نائب للإمام وله احترامه باعتباره مرجعاً دينياً ولكن ليس له أي نصيب من العصمة[٣]. ومقولة الإمام الخميني (قدس) هي مقولة سياسية وليس دينية، وحكومته لا تحاسب معارضيها باعتبارهم أعداء الله، وطبقاً للدستور فإن نائب الإمام ـ قائد الدولة ـ ينصب بالانتخاب وكذلك رئيس الجمهورية الذي يختار بالاقتراع العام[٤].

---

(١) مصدر سابق، المادة ٢٣.

(٢) هويدي، فهمي: تعريف الوعي، دار الشروق بيروت ط٢، ١٩٩٢ ص ١٠١.

(٣) في لقاء خاص مع سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي سألته عن الإمام الخميني(قدس) باختصار شديد فأجابني «يخطىء ولكن طاعته واجبة».

(٤) هويدي، فهمي: مرجع سابق ص ١٠٢

المذهب الجعفري والحرب الحضارية المعاصرة

أكثر من عقد ونصف مرت على المذهب الجعفري في الدولة الإسلامية الايرانية أثبت خلالها أنه لم يعد مذهباً عقائدياً أو دينياً فحسب بل ومذهباً في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والتربية والثقافة والإدارة حيث أصبح له ثقله في حركة الصراع العالمي أو في السياسة الدولية المعاصرة وذلك بفضل دماء شهداءه ومداد علماءه.

إن دراسة المذهب الجعفري في الدولة الإسلامية ودراسته في حركة الصراع المحلية والاقليمية والدولية ودراسته في المواجهة الثقافية والحضارية المعاصرة كاف لإثبات أكثر من حقيقة ما انفك أعداء الإسلام والمسلمين يعملون على طمسها في محاولة لضرب وحدة العقيدة والصف والمصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾.[1]

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.[2]

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[3]

صدق الله العظيم

انتهى بعون الله وفضله

أواخر شهر رمضان المعظم

بيروت ١٤١٦هـ

---

(١) القرآن الكريم. سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٢) القرآن الكريم. سورة الأنفال الآية ٤٦.

(٣) القرآن الكريم. سورة الصف الآية ٣٢.

المحتويات





دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩